

الموسوعة النفسية

عِلْمُ النَّفْسِ يَدُلُّكُ
عَلَى الْطَّرِيقِ !

عِلْمُ النَّفْسِ
كَيْفَ تُسْتَفِيدُ مِنْ ؟

دار احياء العلوم
بيروت

المُوسَوعَةُ النُّفْسِيَّةُ

عِلَامُ النُّفْسِ يَدُلُّكُ
عَلَى الظَّرِيقِ!

كَيْفَ تُسْتَفِدُ مِنْ
عِلَامِ النُّفْسِ؟

المَوْسَعَةُ النُّفْسِيَّةُ

عِلْمُ النَّفْسِ يَدُلُكُ
عَلَى الْطَّرِيقِ
كَيْفَ تُسْتَفِيدُ مِنْ
عِلْمِ النَّفْسِ؟

تأليف

رجينالد وايلد دونالد ليارد

دار أحياء الحلوم
بَيْرُوت

الطبعة الرابعة

١٤٠٢-١٩٨٧ م

جُمُوق الطَّبَعِ مَعْفُوَّة لِدَارِ إِحْيَاء الْعُلُومِ
صَّ.ب: ٥٢٥١ - بَيْرُوت، لِبَّانَ

عِالمُ النَّفْسِ يَرْدُكُ عَلَى الظَّرِيقِ!

- هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ ؟
- هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَفْنِيَ مِنْ عِالمَ النَّفْسِ
فِي حَيَاتِكَ الْيَوْمَيَّةَ ؟
- هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمْ كَيْفَ يَعْمَلُ الْعَقْلُ الْبَاطِنِ ؟
- أَتَأْنِقُ أَنْتَ إِلَى أَنْ تَحْيِي حَيَاةً سَعِيَّةً
جَدِيَّةً بِمَكَانِكَ فِي الْوَجْهُ ؟
- هَلْ يَهُمُّكَ أَنْ تَبْنِي شَخْصِيَّةً مُمْتَازَةً ؟
- إِقْرَأُ كُلَّ كَلِمَةٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَرَّةً وَمَرَّةً
وَمَرَّةً

كلمة أولى

ليس علم النفس اليوم موضوعاً من تلك الموضوعات البعيدة، التي تكتنفها الأحاجي والألغاز. إنه معالجةٌ صحيحةٌ سليمةٌ لمشاكل الحياة اليومية، وإن من المستطاع أن يطبق هذا العلم على العمل في المكتب، وعلى المشاكل في البيت، والتجارة في الخازن، وعلى أي من ألوان النشاط التي لا تقع تحت حصر، في الحياة اليومية التي تلعب فيها الاتصالات البشرية دورها. والمؤلف، بعد أن أمضى في الدرس والللاحظة والاختبار أعوااماً عديدة، أهلٌ، إلى حد بعيد، لمعالجة هذا الموضوع وبحثه.

مقدمة المؤلف

ليس من شك في أننا جميعاً نطمع في أن تكون أسعده وأشجع وأرفع درجة مما نحن في الواقع. إن علم النفس يستطيع أن يهدينا إلى السبيل التي تقودنا، آخر الأمر، إلى هذا الذي نطمع فيه، ونتطلع إليه.

إن الشخصية لا تولد أو تصنع فيما بين عشية وضحى. وإن فعلينا أن نكون من أولي الصبر، والعزم، إن كان لنا أن نبني نفساً جديرة بأن تملك. فالسيكولوجيا نفسها عاجزة عن أن تنفع في رجل يغلب عليه الكسل الخالص أو اللامبالاة.

ولكنا - إن منحنا الجلد والقوة على أن نُعيد التجربة أبداً - خلائقون بأن نُفيد كثيراً من اكتشافات علم النفس العصري. إنها تستطيع أن تحملنا إلى الطريق القوي. إنها تستطيع أن تعلمنا هذه الصناعة العسيرة، صناعة النفس الجديرة بالاسم، وإن تنجينا من حياة التخبيط في الظلم.

أما كيف يتم ذلك لعلم النفس، فهذا ما حاولت أن
اقرره في هذا الكتاب.

إنها عملية كبيرة، أخاذة، هذه التي تقصد إلى بناء
نفس وإنشاء شخصية! إنها أروع ما على الأرض جيّعاً.
وهي كذلك أعودُ ما على الأرض بالخير والفائدة. ذلك بأن
أحداً لا يستطيع أن يسلبك نفسك. فقد تضيّع ثروتك؛ وقد
تُخسر، بالفارق أو الموت، أصدقاءك؛ وقد تراود الشهوة
فتزور عنك؛ وحتى الصحة نفسها ليست مضمونة دائماً. كل
هذه في الحق خاضعة إلى مدى بعيد للظرف وملابسات
الأحوال.

ولكنَّ كلاًً منا يستطيع أن يُريني نفساً. وليس هناك أي
ضربة من ضربات القدر تستطيع أن تنتزع هذه النفس. إنها
الملك الأوحد الذي لا يُعتَصَب. وفي مقدورنا أن نتعهده
ونأخذه بالرياضة والتنمية حتى اليوم الأخير من العمر.

ليس هذا فحسب. بل إن هذا السعي وراء النفس
الجديرة بالإنسان، قادر على أن يجعل الحياة رائعة حتى
النهاية. فما دمنا بسبيل ذلك، فنحن في نجوة من أن نضجر،
أو نتبليد، أو نشعر بأن الحياة وعاء كبير فارغ.

ومنذ ألفي سنة أو تزيد، نطق سocrates في يونان

القديمة، بكلمات تتطوّي على أبلغ ما يستطيع الإنسان أن يسمو إليه من حكمة:

«لستُ أفعل شيئاً إلا أن أطوف بكم لأنقذكم - كباراً وصغاراً على السواء - بأن لا تفكروا بذواتكم، ومتلكاتكم، لتعنوا قبل كل شيء، وفوق كل شيء، باعلاء الروح أقصى ما يكون الإعلاء».

وبعد ثلاثة قرون، ألقى رجل أعظم من سقراط هذا السؤال على معاصريه: «ما الذي يرجحه الإنسان إن قدر له أن يكسب الدنيا كلها، ويخسر نفسه؟».

إن القواعد السيكولوجية هي في الحرب مثلها في السلم. إنها لا تتغيّر مع الأحوال المتقلبة. كل ما في الأمر أن الحرب تجعل الحاجة أمس إلى صفات كالشجاعة، والروية، والثبات، والتسامح، والتعاون، والفكاهة الرفيعة وغيرها مما يوصي به هذا الكتيب.

وإذا كانت الطرائق التي نقول بها هنا محمودة في أيام السلم، فإنها أعلى مكاناً وأحق بالاحتفال في زمن الحرب. ففي الحرب، كما في السلم، يجب أن يكون هدفنا بناء شخصية تترقى أبداً في معارج الرفعة. ذلك واجبنا نحو أنفسنا، قبل أن يكون واجبنا نحو الآخرين.

فإذا استطاع هذا الكتيب أن يساعد أولئك الذين يقرأونه على أن يتقدموا إلى أبعد من مغامرتهم بسبيل عيش أرفع وأزهر ، كان مؤلفه قد تعرّض بأكثر مما يستحق .

١ - علم النفس: الحديث والقديم

علم النفس علمٌ عتيقٌ جداً، ومع ذلك فهو جديدٌ جداً. إنه، بمعنى من المعاني قديمٌ قدمَ الإنسان. وهو، بمعنى آخر، حديثٌ حديثةَ الراديو، أو طائرة الأربعمئة ميل في الساعة.

ذلك لأنَّ علم النفس هو دراسة العقل ومن هنا كان محاولة إلى النفاذ إلى ما وراء الإنسان الفيسيولوجي، في سبيل فهمِ أشياء كالآفكار والرغائب والبواعث والذواكر والأحاسيس.

وليس من شكٍّ في أنَّ الإنسان كان منذ وجوده الأقدم على هذا الكوكب سيكولوجياً، إلى مدى بعيد. لأنَّه ليس من الجائز أن يكون قد أتى عليه حينَ من الدهر لم يحاول أن يفهم فيه ذاته وذوات الآخرين من حوله.

لَمْ فَعَلَ فَلَانٌ كَذَا تَمَامًا، وَلَمْ يَفْعَلْ كَذَا تَمَامًا؟ مَا السبب في أنَّ هذا الرجل مختلفٌ كلَّ الاختلاف عن ذاك؟ لَمْ أَجِدُ

نفسي أفعلُ هذا الأمر، في حين أني أُريد حقاً أن أفعل شيئاً آخر دائماً؟

هذه وآلافُ أمثلها من الأسئلة يجب أن تكون قد أطلعت رأسها في وجه بني الإنسان، منذ البدء. وما دامت هذه الأسئلة قد جاهاهم، وما داموا قد حاولوا أن يجدوا لها جواباً، فقد كانوا سيكولوجيين. أجل، كانوا يدرسون علم النفس، قبل أن تعرف آذانهم شيئاً اسمه علم النفس.

ولم تثبت هذه الأسئلة، التي بدأت، في طفولة الجنس الأولى، فجةً غامضةً، كما يبدأ التساؤل الإنسانيُّ أبداً، إن اتخذت مع الأيام شكلًاً أوضح وتحديداً أصح.

فحتى منذ أيام أرسطو، الذي عاش في يونان القديمة من 384 - 322 ق.م.، كان علم النفس قد انتهى إلى أن يصبح موضوعاً من موضوعات البحث وطيد الأركان، ومن ذلك الحين إلى يوم الناس هذا وال فلاسفة يتبعرون فيما هو العقل، وكيف يعمل.

ولكن علم النفس العصري، الذي يدعى أحياناً علم النفس الحديث، لا يعود سُنَّ الخامسة والخمسين. إذ أنه قد نشأ في حوالي سنة 1890.

ولكي ندرك فرق ما بين علم النفس القديم وعلم النفس

الحديث يلزمنا أن نذكر أنه لخمسين سنة خلت، كان علم النفس حقلًا من حقول الفلسفة. يعني أنه كان يدرس من على الكراسي و «الفوتويات».

وذلك لأن يفرغ المفكرون المهووبون في كراسיהם للنظر الدقيق في عمل العقل ونجهه، ليذوّنوا ما قد كشفوه، محاولين بذلك أن يصوغوا «قوانين» العقل. إن درس المرء لعقله هذا النوع من الدرس الدقيق المتقطع يدعى التأمل الباطني (Introspection). وقد وُفق القدماء، عن هذه الطريق، إلى كشف عدد من الحقائق ذات القيمة.

أما علم النفس العصري فبدأ يوم أخذ المفكرون يتحللون من «دراسة الكرسي» هذه، بعد أن ظهر لهم أنه لا يُرجى لعلم النفس أن يتقدم إلى بعيداً دام ناهجاً هنا النهج العتيق.

قالوا إنك إذا أردت أن تدرس عمل البدن الإنساني لم تفعل ذلك وأنت مستريح في كرسي وثير. إما تسعى إلى ما تريده في مخبر من المخبر، أو غرفة من غرف التشريح. ثم إنك إذا أردت أن تدرس الجوادر الكيميائية لم تلتجأ إلى مجرد التفكير التأملي، بل تبدأ العمل بأنابيب الاختبار والموازين وما هو بهذا كله أشبه. وإن فلم لا نجرب

اصطناع هذه الطائق العلمية، التجريبية، في السيكولوجيا أيضاً؟

في تلك الساعة ولدت السيكولوجيا العصرية. وهنا يلمع اسمان كبيران مقتربان أبداً بهذا الخروج على طرائق الفلسفة وعلم النفس القديم. إسمان هما وهم ماكس وندت Wilhelm Wundt في ألمانيا، ووليم جيمس William James في أميركا. ففي السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر أنشأ وندت في ألمانيا أول مخبر سيكولوجي أخر جه عقل إنسان، ليتبعه وليم جيمس، فينشيء بعد قليل مخبراً آخر بأميركا. لقد أخذ علم النفس التجريبي العصري، منذ الآن، سبيلاً إلى النور.

واسم ثالث كبير يجب أن ينوه به عند الكلام على علم النفس الحديث^(١) هو سigmund Freud من أهل فيينا ومن الذين دخلوا هيكل السيكولوجيا من باب الطب.

كان في سنة ١٨٩٠ أخصائياً ناشئاً في الأعصاب، يدرس أصول الجهاز العصبي وطرائقه في العمل. فقاده هذا

(١) يطلق بعض الكتاب اسم «علم النفس الحديث» على التحليل النفسي Psycho-analysis فقط.

الدرس، في وقت مبكر، إلى نتيجة محصلها أن الجهاز العصبي يمكن أن يتأثر بالعقل. وما كاد القرن التاسع عشر يؤذن بالانصرام، حتى كان فرويد قد شرع ينشر كتبه المعنية بالعقل الباطن، والتحليل النفسي، فتمنت بذلك ولادة ظاهرة كبيرة أخرى من ظواهر علم النفس العصري.

وقد استطاعت السيكولوجيا الحديثة أن تتفجر قفزات جريئات في نصف القرن الذي تلا. فأسست المخبر السيكولوجية في عدة جامعات بأوروبا وأميركا، كما أست آخر بالشرق الأقصى، في الصين واليابان.

إن هذه السيكولوجية الحديثة تؤثر اليوم في الحياة الإنسانية من زوايا مختلفة. فلقد لونت قصصنا ومسرحياتنا، ووجهت التربية الجديدة، وغزت حرم الطب. إن المباحث فيها تملأ أنهاراً من أعمدة الصحف والجلالات، وإن آلافاً مؤلفة من الكتب لتوضع في موضوعها في عدد من اللغات. لقد ألغت الضوء على مشكلات إنسانية متعددة، وساعدت كثيراً من الناس على أن يفهموا ذواتهم وذوات الآخرين فيها أفضل.

و سنحاول فيما يلي من فصول هذا المجلد الصغير أن نعرض بالتبسيط لبعض كشوف هذا العلم الرائعة - هذه

الكشف الأكثر جدوى بالنسبة إلى الرجل العادى والمرأة العادية اللذين يتسمان الهدایة في الحياة اليومية، والقدرة عليها.

محصل ما فات

١. علم النفس قديم كالإنسان، لأنه يمثل محاولة الإنسان أن يفهم عمل العقل - عقله هو، وعقله أبناء جلدته.
٢. انطبع علم النفس، طوال قرون عديدة، بطبع التأمل الباطني ليكون شعبة من الفلسفة.
٣. السيكولوجية الحديثة تهدف إلى درس النفس بالطرق العملية التجريبية. فهي تصطagne المعاير والأجهزة، ولم يعد التأمل الباطني ليؤلف إلا جزءاً صغيراً من منهجها.
٤. تطبق السيكولوجية الحديثة اليوم في التربية والطب وعدد من العلوم الأخرى، وقد ألقت نوراً ساطعاً على السلوك الإنساني وبواعثه.

٤ - إلى أي حد أنت حي؟

للحياة العقلية ثلاثة أوجه هي العرفان والوجودان والإرادة. وإنما يقصد في هذا الفصل إلى الكلام على جانب العرفان من الحياة.

وعملاء النفس لا يعنون بالعرفان مجرد المعرفة. إنهم أقرب إلى أن يعنوا «الاليقظة». ذلك بأن الأشياء تزدحم من حولنا، في كل لحظة من لحظات الحياة، وتتقاضانا الانتباه والالتفات.

إن النائم، أو الفاقد الرشد، لا يعيان إلا قليلاً. إنها لا يباليان بآلف شيء وشيء، قائمة هناك، مما يُنظرُ أو يسمعُ أو يُلاحظ. والمتبليد الذهن لا يعي، في العادة، إلا جزءاً مما تطরفه به الحياة. وليس من شك في أن نصيب الشخص العادي من ذلك كله أكبر من نصيب المتبليد، ولكنه كذلك ليس واعياً لغير النزر الضئيل مما يجب أن يُلاحظ ويعيش. أما الفطن من الناس، الذي يتغير في أديمه ماء الحياة، فذلك الذي يحظى من كرم الوجود بأحفل الكؤوس. إن

حياته لا يُخصِّبُ الحَيَّاتَ، وأنَّ عَالَمَ لا يَغْنِيُ الْعَالَمَ. لَقَدْ ذَاقَ
الْحَيَاةَ أَقْوَى مَا يَكُونُ الذَّوْقُ وَأَرْوَاهُ.

وَخَلِيقُ بَنَا أَنْ نَلَاحِظَ أَنَّ الْعَالَمَ هُوَ عِنْدَ هُؤُلَاءِ جَمِيعاً.
إِنَّهُ الْعَالَمَ نَفْسُهُ يَتَكَشَّفُ لِلنَّاَمِ وَلِلْمُتَبَلِّدِ الْمُتَخَلِّفِ الْذَّكَاءِ،
وَلِلشَّخْصِ الْعَادِيِّ، وَلِلْمُوْهُوبِ الْمُتَمَلِّيِّ بِعَيْنِ الْوِجُودِ، سَوَاءٌ
بِسَوَاءٍ.

لِيْسَ الْعَالَمَ هُوَ الَّذِي يَخْتَلِفُ. إِنَّمَا النَّاسُ الَّذِينَ يَتَفَهَّمُونَ
الْعَالَمَ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ. وَمِنْ هَنَا هَذِهِ السِّيْكُولُوْجِيَّةُ:
الْخَطِيرَةُ:

يَكُونُ عَالَمُنَا كَمَا نَجْعَلُهُ نَحْنُ. إِنَّهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى غَنْيِ عَقْوُلَنَا
وَحَيْوَيْتَهَا. إِنَّا نَرَى مَا نَمْلِكُ الْقَدْرَةُ عَلَى رَوْيَتِهِ.

إِنَّ كُثُرَتِنَا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ حَظًّا مِنَ الْحَيَوَيَّةِ
وَالْفَطْنَةِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوَاقِعِ. أَبْدَأْ بِأَنْ تَخْتَبِرْ نَفْسَكَ.

فَكِرْ فِي وَاحِدٍ مِنْ أَصْدَقَائِكَ الْمُقْرِبِينَ.
مَا لَوْنَ عَيْنِيَّهُ؟

هَلْ يَفْرَقْ شَعْرَهُ ذَاتَ الْيَمِينِ أَمْ ذَاتَ الشَّمَالِ؟
فِي أَيِّ جَيْبٍ يَضْعُ مَنْدِيلَهُ عَادَةً؟
مَا الْلَوْنُ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى رَبْطَةِ الْعَنْقِ عَنْهُ؟

إذا استطعت أن تجذب على هذه الأسئلة بسهولة، كنت في عداد الطبقة الأشد يقظة، والأكثر حياة من الناس. ولكن كثيراً من قارئي هذا الكتاب عاجزون عن ذلك.

تدبر، من ناحية ثانية، الشخص الهاوي. أي عالم حاشد هو عالمه، في كل ما يتصل بغرضه أو هوايته المباشرة! إن التلميذ المشغوف بالطائرات ليستطيع أن ينبعك بطراز الطائرة، حتى من مسافة بعيدة والرجل الذي يجمع ضروب الفراش إنما يلتجئ عالماً بقتامه من الدهشة والشوق، موصدة أبوابه في وجه الكثرة منا.

وحقيقة هامة أخرى، هي أن هذين الهاوين، وكل متخصص في حقله، قد اقتطعوا هذه المعرفة بقليل من الجهد الوعي، يبذلونه. لقد دخلوا محراب دنيا أوسع، دون أن يسوقوا أنفسهم ببساطة. إن شوقهم واستمتعهم قد راض لهم المعرفة.

وإذن فالقاعدة الذهبية في تلقي المعرفة، أو التمكّن من موضوع بعينه هي: أن تُضفي الشوق (Interest) على ذلك الموضوع.

اضبط يقظتك بالشوق تجد المعرفة قد صارت أهون سبيلاً، نسبياً.

وخير أن يكون هذا الشوق طبيعياً قريباً. ولكنه، في بعض الأحوال، لا يمكن أن يكون إلا متخيلاً، بعيداً.

فالللميذ الذي يؤخذ بالتمك من الأفعال اليونانية، غير مطردة القياس، مثلاً، يجد أن من العسير عليه أن يقع على متعة قريبة في هذه الصيغ القولية المتنافة. ولكنه إن استطاع أن يستحضر في مخيلته أمجاد يونان القدية، ويتمثل أن هذه الكلم كانت، في يوم، لغة سocrates، وأفلاطون، والاسكندر، طفت على عمله موجة من الحماسة الجديدة، ينقلب معها العمل الكادح شوقاً، والضيق لذة. وقد يستطيع أن يتطلع إلى مهنته المستقبلية، ويرى في التفقة في النحو اليوناني خطوة جديدة تحمله إلى أبعد في هذا السبيل، فيستعيض من هذه الغايات البعيدة معانٍ توقع في نفسه أن عمله الذي أخذه به أستاذته ذو عائدة خليقة بأن يُتعب من أجلها.

وأياً ما كانت الوسيلة المصطنعة، فالمبدأ واضح: إن الحياة تزداد سعة، وخصباً، وقيمة يوماً ن قبل عليها بشيء من روح الهاوي التحمس. حتى الأعمال الأكثر بعثاً على السأم يمكن أن تلطف بهذه الواسطة لتصبح خفيفة على المناكب. وتذكر أنك أبداً تبني عالمك، والعالم الذي تعيش فيه ليس إلا العالم الذي تختاره لنفسك.

لقد ذاع في الناس غير نظام واحد للسمو بملكة اليقظة هذه وإرهافها. فقد اقترحت تمرينات مختلفات لتنمية الذاكرة وتجويدها مثلاً. ولكن كثيراً من هذه التمرينات اصطناعي إلى مدى بعيد، ومن الخير أن يقوى المرء ملكاته، بطريق طبيعي، وبالمادة التي في متناول يده.

هل أنت خجول، سريع التأثر، منكمش؟ إبدأ بآن تُعنى عنایة جديدة بالناس. ولتكن عنایتك الجديدة، هذه، من أجل الناس وحدهم، تدبر طرائقهم، وعاداتهم، واتجاهاتهم، وملابسهم، ومناطقهم الكلامية، ومواضيعاتهم المفضلة، وسبلهم إلى معالجة هذا الموضوع أو ذاك. افعل ذلك كله، لا بعين المشائم الناقدة، التي تقصد إلى تعقب الأخطاء والسقطات، بل لمجرد الرغبة الخالصة في أن «تستمتع» بالناس. أي أن يصبح الناس بالنسبة إليك موضوعاً شيئاً، وفي أن تضم إلى دنيا الشخصيات التي تعرفها عناصر جديدة. وقد ينقلب هذا العمل رياضة رائعة يقل معها حياؤك وتغدو أكرم وأكثر تساماً، فليس هناك في الواقع إلا أنفار قليلون محرومون من الصفات التي تحمل على الحب والاعجاب.

والأمر كذلك في الذاكرة. لا تُقلق نفسك بالطرائق الاصطناعية لتنمية الذاكرة. أعمل ذاكرتك في المادة

التي يُرجّيها إليك الاختبار الشخصي، يوماً بعد يوم.

سوف يقدمك أصدقاؤك، في الحين بعد الحين، إلى معارف لهم. حاول أن تذكر أسماءهم. فليس شيء أدعى إلى إيقاع الابتهاج في نفوس الناس من أن يجدوا أن امرءاً لم يجتمع بهم إلا اتفاقاً، ومن زمن متقدم، لا يزال يذكرهم، في الاجتماع الثاني، بأسمائهم.

ولكن أَنَّى يمكن المرء من تذكر الأسماء؟ الجواب: بأن يربط بين الاسم والمعنى، الذي هو الشخص هنا، وأن يخلع عليهما جميعاً مسحة من الشوق. هب أنك تعرفت إلى رجل يدعى «الميقاني»، فقد تلاحظ أنه أشقر الشعر، أزرق العينين، كأهل بلدان أوروبا الشمالية. ها قد وقعت على المفتاح. إن الأوروبيين عادة حريصون على المواقف... وإنْ فَقْدَ جَرْتَ ملاحظتك الذهنية الصغيرة هذا المجرى: شعر أشقر، عينان زرقاء، جبلاً أوربياً... إذن «ميقاني»^(١).

إِذَا بَدَا لَكَ أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ مُصْطَنَعَةَ، فَتَدْبِرْ كِيفَ تَعْمَلُ ذَاكِرَتَكَ، فَعَلَّاً، فِي حَالٍ أُخْرَى. إِنَّهَا تَعْمَلُ بِطَرِيقَةِ

(١) لِسَا فِي حَاجَةِ إِلَى النَّصِّ إِلَى أَنَا قَدْ أَصْطَنَعْنَا هَذَا اسْمَّاً غَيْرَ الَّذِي اقْتَرَحَهُ الْمُؤْلِفُ، بِحِيثَ يَتَفَقَّدُ الْفَرْضُ وَمَنْطَقُ الْعَرَبِيَّةِ.

الربط والتداعي. إنها تؤلف بين المعلوم والجهول. وذلك عين. ما قمت به في مثل «الميقاني». وما دام التداعي سهلاً طبيعياً، بعيداً عن الاستكراه، فالذاكرة تنموا في مجال طبيعي، وقد تكون الروابط تافهة ولكن النتيجة تظل سليمة على كل حال.

وليس من النادر أن تسمع إلى شكوى الناس من أنهم قد «خرروا ذو أكرهم» أو من أنهم لا يستطيعون أن «يركزوا تفكيرهم». فإذا لم يكن مرد ذلك إلى اخطاط حقيقي في خلايا المخ (وهذا في غاية الندرة) فأكثر ما تكون الشكوى ناتجة عن واحد من أمرين: إما أن يكون الشخص المعنى قد عجز عن أن يربى ذاكرته ويعهدها بالتنمية، وإما أن يكون قد انتهى إلى الشك في مقدراته على التذكر أو التركيز.

حتى العضلة، قد تسترخي وتترهل إذا لم تستعملها. وكثير منا هم أولئك الذين لا يستعملون قواهم العقلية إلا قليلاً. بل إنه لمن المأثور جداً أن تجد الناس يتهمون عقوفهم ويشكون في مقدراتها. إن عقولنا أشبه شيء بأصدقائنا: فهي تعمل، في الجملة، بقدر ما تتوقع لها أن تعمل. حتى إذا ساورنا الشك في كفايتها، خاتتنا وعطلت علينا أغراضنا.

يتحدث الناس عن التركيز العقلي كما يتحدثون عن عمل سحري نادر التحقيق، عزيز المطلب. وكثيرٌ مما يدعى «الأنظمة العقلية» إنما أنشئت على أساس من هذا الوهم عينه. وأ الواقع أن التركيز العقلي هو أكثر الأشياء طبيعية في العالم. فقد جعل العقل ليركز، كما جعلت المعدة لتمثل، والرئتان لتنفسا.

وإنما تُركِّزُ، أفضل ما يكون التركيز، لا بأن تأسأل أسئلة فضولية عن حقيقة هذا العمل، أو بأن تتحن ذاتك إبان العملية التركيزية، بل بمجرد أن تركز فكرك، في سهولة ويسر. ذلك بأنه إذا كان جزء من عقلك يلاحظ الجزء الآخر في حال التركيز، تطرق إلى عقلك الانقسام، في حين أن من شروط التركيز الصحيح أن يكون عملاً عقلياً كلياً، متسمًا بالطبيعة والبساطة وعدم التكلف، كالأكل والتنفس سواء بسواء.

لا تفهم عقلك. تقبله على علاته. افترض أن الطبيعة قد منحتك أداة ملائمة كل الملامة لما جعلت له. وفي مثل هذا الجو من الثقة المُحيية تقدم إلى تنمية قوتك على التذكر أو التركيز بأن تذكر وتركز بكل بساطة.

وأخيراً فلنقرر هذه الحقيقة: وهي أن العقل مقاييس الرجل. نحن نبلغ من السن بقدر ما نشعر أننا قد بلغنا.

كذلك نصيّبنا من السعادة هو بالقدر الذي نظن. إننا نعيش في عالم هو من خلق عقولنا، فوق كل شيء.. وكلما كنا أعمق حيوية، كنا أقدر على الأخذ. وكلما ذكرت جذوة شوقنا، كانت قوة اليقظة فينا أشد صفاءً وأقوى صقالاً - ومن ثم كان عالمنا الذي نغنى فيه أرحب وأخصب.

وليس يجوز أن يكون العالم عبئاً ثقيلاً ومهمة غير شيقة بالنسبة إلى العقل اليقظ أحدّ اليقظة. إن عوالم من الاختبارات الغنية المتنوعة، بعضها فوق بعض، لتنتطلع إليك، منتظرة إن تكتشفها. إنها هناك، غير بعيد من متناولك. فوطن النفس على أن تفيق وتحيا.

وسع من مطاراتح أفقك. أبحث، واحترس، وتعلم. تلتفت أشتات المعارف. فكل قبس من أقباس المعرفة يوسع عقلك، ومن ثم يوسعك أنت.

لا تمر بهذه الأعجوبة، التي هي الحياة، بعينين معصوبتين، وأذنين ثقيلتين، وعقل وسنان. استعمل عقلك فقد خلق لكي يستعمل. ثق به، فإنك إن فعلت وجدته محلاً للثقة. كن يقظاً، فالكون واقف على بابك.

وقد تتساءل عن المكافأة، ما هي؟ إنها مجرد أنك

ستنمو، وستنمو في الحكمة، والمعرفة، وغنى التجربة؛ إنها مجرد أنك ستحيا في عالم أسعد وأرحب.

إنه العقل الذي يخلق الخير والشر!
الذي يصنع البائس والسعيد، الغني والفقير!

محصل ما فات

١. ينشئ كل منا عالمه. إن «عالمنا» هو ذلك الذي يتقبله عقلنا.
٢. الشوق هو المفتاح الذهني للتعلم، والتذكر وما هو أشبه. ونستطيع أن نبعث الشوق، في حينما لا نجده مباشرة، بطريق التخيل، واعتبار خيرنا الم قبل، ولو بعيداً.
٣. التركيز ملكة طبيعية. هي تنمو بالتمرين. وإنما يحقق العقل خيره حين يعتمد ويوثق به.
٤. عقولنا هي المقياس الحقيقي لقيمتنا. وكل نمو في المعرفة، أو اليقظة، أو الشوق، يعني نمواً في الشخصية.

.

٣ - أحاسيسك: كيف توجهها؟

الوجودان هو الوجه الثاني من وجوه الحياة العقلية، كما سبق منا القول. نحن لا نفكر فحسب، ولكننا نشعر أيضاً. فما الذي تستطيع السيكولوجية العصرية أن تقوله عن دنيا الوجودان هذه؟

إنها تعلمنا أولاً، أن الوجودان هو القوة الدافعة للحياة. فهو للشخصية الإنسانية بمثابة البنزين للسيارة، والبخار لقاطرة السكة الحديدية. وإذا كان أحد لم يعش قط، في حكمة وتعقل، دونما استعانة بالذكاء، فإن أحداً كذلك لم يعش قط، في قوة و خصب، دونما وقود من العاطفة.

إن في بعض البيئات عرفاً يقول بتحقيق العاطفة والتنديد بها. وفي بيئات أخرى يهدف التدريب الاجتماعي إلى كبح الوجودان و تحاشي إظهاره بأي سبيل، بل يعدو ذلك إلىأخذ المرء بتكلف الرزانة والوقار. فالمثالية في رأي هذا المذهب أن تواجه كل تجربة قد ت تعرض لك في الحياة

بنفس السلوك الدمت المذهب.

إن هذه الآراء لتنطوي على حقيقة جزئية هي أن الهيجان العاطفي ليس بالمستحب ولا بالمجدي في وقت معاً.

إن العاطفة الجامحة، بحيث لا غلوك لها قياداً، هي قوة خطيرة. إنها لا تساعدنا على العمل الحكيم الصالح. ولذلك كان من السخف أن يفلت من بين يديك زمام أعصابك. فإنك بهذا لا تقيم الدليل على فقدانك القدرة على ضبط النفس فحسب، ولكنك تُحرم القدرة على مواجهة الحالة المزعجة بصورة عملية. إذا أفلت منك زمام الأعصاب، أفلتت منك «نفسك»، النفس الجديرة بأن تُنقذني.

وهكذا الشأن في الخوف الجامح، غير المضبوط. فهو يعوقنا عن العمل الجدي. إنه في الحالات الغالية، المتطرفة، قد ينتهي إلى شل أيدينا وأرجلنا ليبقينا مسمررين في حيثنا يتهدّدنا الخطر. وهذا التثبيت من خطر العاطفة غير المضبوطة، هو الذي حمل بعض المفكرين على الذهاب إلى أن الأمثل بالإنسان ألا يُرخي العنان لعاطفته أبداً. وهذا هو السر الذي يكمن وراء «مذهب الدماثة والتلطف»، والذي يفسر لنا كذلك كيف جاز أن يكون أيا إظهار للعاطفة عملاً غير لائق، في نظر بعض البيئات.

ولكن هذا كله أشبه بتناول جرعة من السم، ابتغاء الشفاء من سُمٍ من نوع آخر. كن واثقاً من هذا الأمر: إن أحداً من الناس الذين قُدر لهم أن يحيوا بقوّة، أو أن يعملوا بمحبّوت في سبيل الصالح العام، لم يستطع أن يوفي على الغاية، وهو في نجوة من سلطان عاطفة عميقّة قوية. إن كبح العواطف معناه ايصاد الباب دون أكبر القوى الدافعة إلى الحياة الأرفع والأجدر بأن تعاش.

تدبر، مثلاً، ما قد قلناه في الفصل السابق عن الشوق Interest. الشوق تجربة وجدانية، وحياناً ألم الشوق، انتبه، المهام المقوّنة في الأصل، إلى أن تكون شيئاً بسيراً الحمل، بل محبوباً أيضاً. تدبر أيضاً، كيف أن في مقدور الحب، أن يُغيّر الشخصية الإنسانية، حتى ليُمسي الحب. وهو بسير، حقيقة لا مجازاً، على أرض جديدة - أرض قد انقلبت في مثل السحر، أزكي عبيراً، وأندی جالاً.

فَكَرْ كَيْفَ رَفَعَتِ الْوَطْنِيَّةِ رَجَالًا إِلَى قَمَّ مِنَ الْبَطْوَلَةِ
وَالْأَحْمَالِ تَكَادُ تَحْسِرُ الْبَصَرَ! وَفَكَرْ كَيْفَ قَادَتِ الْعَاطِفَةِ
الْدِينِيَّةِ الْمُتَقَدِّدَةِ رَجَالًا وَنِسَاءَ إِلَى الْإِسْتَشَاهَادِ، فَلَمْ يَنْشُوْنَ عَمَّا
نَصَبُواْ أَنفُسَهُمْ لَهُ، وَلَمْ يَنْكُصُواْ أَوْ يَحْسِبُواْ حَسَابًا لِشَيْءِ!
وَكَيْفَ قَادَتِ آخَرِينَ، مِنْ نَاحِيَّةِ ثَانِيَّةِ، إِلَى نَذْرِ ذَوَاتِهِمْ
لِيَنْهُضُواْ بِحَقِّ الْخَنَانِ غَيْرِ الْمُحْدُودِ، وَالشَّفَقَةِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَّةِ نَحْوِ

البؤس والمستضعفين، بل ونحو الشريرين والمكرهين من كل الناس!

إننا، بداعع العاطفة الرفيعة، نستطيع أن نرقي ذروات لا قبل لنا بها، بالتفكير البارد وحده. إن القوة على الإحساس العميق من لوازم كل عيش حقيق بهذا الاسم.

وإذن فإن هذا الذي يجب أن نهدف إليه منزلة بين المزرتين المتطرفتين - أي وسط بين الكبح الكلي للعواطف جيئاً، وبين إطلاقها بمثل حرية البركان وهيجانه. علينا أن نروض عواطفنا ونضبطها، لا أن ننتحرها ونسفهمها. وبكلمة: إن غايتنا يجب أن تكون توجيه العاطفة بذكاء.

يجب أن نفكر بذكاء، ونعمل بعاطفة. ومفاد هذا أن علينا أن نقرر بتفكير صاف ونظر نافذ، أي الأعمال جديرة بأن تُعمل في الحياة، وأي الأهداف قمية بأن يُسعى من أجلها، لنعود فتحشد، في سبيل تحقيق هذه الأعمال واستشراف هذه الأهداف، أغنى ما نملك من قوى العاطفة والوجودان.

تفكير صافٍ، وإحساس عميق. هذان هما عنصرا الحياة الناجحة الموفورة المغام.

يقودنا هذا إلى نقطة أبعد. فواضح أن بعض العواطف

أجدر بأن تعيش من بعضها الآخر. فالحياة بحسب خير منها ببعض؛ والحياة بشجاعة خير منها بخوف؛ والحياة بأمل وروية وتسامح، خير منها بقنوط وسوء مزاج وحرج في الصدر والفكر.

ولكن كيف لنا أن نغدو العواطف الفضلى، ونستأصل العواطف الدنيا؟ هل من سبيل إلى نوع من الضبط لكيفية إحساسنا، أم أن الأحساس تصدر كما تشاء، بغض النظر عما قد نفكر ونرجو؟

إن مبدأ واحداً يجب أن نوضحه من أول الطريق: إنك لا تستطيع أن تقتل أيها عاطفة بأن تفكر فيها. بل إنك لا تستطيع ذلك حتى بصرير الأسنان، ومحاولة طردتها بالقوة إلى خارج العقل. وكل من قد حاول أن يفعل مثل هذا بأي من العواطف العارمة لا بدّ أدرك مبلغ إخفاقه في هذا السبيل.

كلا! إنك عاجز عن أن تقضي على عاطفة ما بالهجوم عليها مباشرة. ولكنك قادر على ذلك بالتلطف لها، والالتفاف عليها. تستطيع أن تجتنبها بأن تقيم في وجهها عاطفة مضادة.

بامكانك أن تفيد هنا ما دعاه وليم جيمس «القوة

الطاردة التي لعاطفة جديدة ». عليك إذا أردت التخلص من أيها عاطفة كريهة، أن تغدو نقيسها. فإن كنت ميالاً إلى البغض، فنم في ذاتك الحب، وإن كنت خائفاً أبداً، فقو في نفسك الشجاعة.

ولكن كيف يستطيع إنسان أن ينمّي في ذات نفسه عاطفة محمودة؟ هناك طريقان:

الأول هو طريق الانكباب على التفكير في العاطفة المرومة، واستجلاء محسنها، وتمثل النفس وقد حصلت عليها.

وهنا تنهض الكتب عوناً كبيراً. ففي قراءة أخبار البطولة ما يزيد في مخزون المرء من الشجاعة. كذلك يساعدنا احتكاكنا بالأشخاص الذين يملكون، في نفوسهم، ذلك النوع من العواطف الذي نلتمس، على أن نلتقط الشرارة.

والتخيل قوة فعالة. فالالتوقي الشديد إلى صفة ما، يفيد إنك بسبيل الوصول إليها. وإن في تمثيل الإنسان نفسه وقد بلغ الغاية، وتخيله أي شيء سيكون حين يتم له ذلك فعلاً، لا عهلاً لقوى في العقل تقرب تلك الصفة من متناول اليد.

وأما الطريق الثاني فطريق عملي. وهو أن تتصرّف

كأننا نملك فعلاً تلك الصفة المرومة، أو كأن العاطفة التي نرغب في التخلّي بها، تمت لنا حقاً. إذا شعرت، بعد اليوم، بالكآبة والكمد، فانتهز أول فرصة لتلقي كلمة منعشة في وجه أول من تلقاءه، أيّاً ما كان، بائع حليب، أو ساعي بريد، أو زميلاً في العمل. قل تلك الكلمة كأنك تعنيها أعمق ما يكون؛ إرم بكتفيك إلى الوراء، ارفع وجهك في ابتسامة، وانطق بالكلمة المنعشة. ولسوف يأخذك العجب لأن تجد أن بهجة جديدة قد مسّت روحك في تلك اللحظة بالذات وبالاختصار، إن في مقدورنا أن نراود العواطف إلى مدى بعيد، بالعمل الجسّاني.

مثل، بطريقة جسمانية، العاطفة التي تريده، فستجدانك تفتح بذلك باباً تستطيع تلك العاطفة أن تدخل منه. مثل أمام غيرك إحساناً ما، تجد أن ذلك الاحساس قد أخذ يدبر في نفسك، شيئاً بعد شيء.

ليس هذا كلّه من نوع «نظريات الكرسي» العذبة. لقد وضع موضع التجربة في المخبر السيكولوجية. لقد أيدت صحتهُ واستوأه، المرة بعد المرة، اختبارات الرجال العاديين والنساء العاديات. وبفضل هذه الطرائق غير الكثيرون أنفسهم من شخص متبلدين، جزعين، سيئي

الظن بالناس ، إلى شخصيات جريئة تضج في عروقها
الحياة .

بقيت كلمة أخيرة . ليست الأفكار التي نفكر بها ، هي
وحدها التي تجعل منا نحن فعلاً . ولكنها كذلك الأحساس
التي تعمّر صدورنا أكثر من غيرها . إن العيش بالعواطف
الفضلى تجارة راجحة ، وفي مقدورنا أن تخير عواطفنا .

باستطاعتنا أن نري ضرباً خاصاً من العاطفة ، كما
نستطيع أن نري نوعاً خاصاً من الأصدقاء ، تماماً . وليس
 علينا إلا أن نعرف ما نختار ، بذكاء وعناية .

محصل ما فات

١. من الخطأ كبح العواطف جيّعاً . العاطفة هي القوة
الداعمة للحياة ، وليس أعظم منها في ذلك .

٢. ولكن العاطفة يجب ألا تكون هيجاناً غير مضبوط . يجب
أن تكون الأحساس قوية وعميقة ، على أن يقودها الذكاء ويسنن
توجيهها .

٣. يجب أن يكون هدفنا أن نفكر تفكيراً صافياً ، وأن نقرر ،
إلى أي الأهداف نتعزم أن نسعى في الحياة ، لنعمل من ثم بعاطفة
غنية ، غير متفاوتة الحرارة .

٤. ليس لنا أن تكون بعيداً لأيّا عاطفة فباستطاعتنا أن نري
نوعاً خاصاً من العاطفة، كما نري نوعاً خاصاً من الصديق.

٥. عش بأفضل العواطف، فتحن تنشأ وتنمو كما نحن أنا
نشأ وتنمو.

٤ - سيكولوجيا الإرادة

هل تستطيع أن تصمم النية؟

نتقدم الآن، في هذا الفصل، إلى الوجه الثالث للحياة العقلية: الإرادة. وإنما نعني بها تلك العملية التي بها يختار العقل واحداً من أمرين أو أكثر يُخِرِّب بينها، ليعود بعد فيلحق الاختيار بالعمل.

فما الذي يستطيع علم النفس أن يقدمه من فائدة في موضوع الإرادة هذا؟

إن الناس يتكلمون عن الإرادة كما يتكلمون عن أمر عزيز نادر، فكأنما هي غريبة، كل الغرابة، عن الطبيعة الإنسانية العادلة. ولكن الإرادة طبيعية بقدر التفكير والوجودان. فالعقل قد خلق ليريد ويعزم.

أقول قولي هذا لأن كثيراً عديدة تحفل بجميع ضروب التمرينات الخيالية المقترحة على الطالب بسبيل «تقوية الإرادة».

يؤخذ الطالب مثلاً بأن يفسد نظام كرة متراصة من الصوف، بحيث تتدخل خيوطها وتعقد، ليطلب إليه بعد أن يحل متداخلها ومتعقدها، ويعيدها سيرتها الأولى، في أناة، وتأدة. وليس نادراً أن تجد في هذه الكتب تمارين تأسّل «المريد» أن يضع بعض «الحمص» في زجاجة، ليعود فيخرجه منها، بمثيل صبر أیوب، حبة بعد حبة، وهو يعوداً ويخصيها.

مثل هذه التمارين قد تعودنا الصبر، ولكنها قليلاً ما تفيد شيئاً في تقوية الإرادة.

من الأفضل في الإرادة، أن يمرن الإنسان نفسه بما تُتيحه له الحياة العادية من مناسبات واقعية. فواقع الحياة أجدى من المواقف المصطنعة والتمارين المتكلفة.

ذلك أتنا نصطنع الإرادة في كل يوم من حياتنا. نحن نقرر هذا بدلأً من ذاك، ونصنع هذا الأمر دون ذاك، ألف مرة أو تزيد في اليوم العادي. لقد ألفنا ذلك كله واعتدناه حتى لا أصبحنا لا نفكر في أنه ضرب من الإرادة أبداً.

إتنا لا نفكر بإرادتنا إلا ساعة نلقي أنفسنا في موقف نضطر معه إلى اتخاذ «اختيار» كبير ذي خطر.

ولكن حياتنا اليومية العادية تتيح لنا الفرصة الواقعية لتدريب إرادتنا، إذا كان يعنينا هذا التدريب.

وحقيقة ثانية، هي - أن أبرز ما يميز الإرادة أنها إنسانية. فالحيوانات تفكّر، إلى مدى ما، وهي، على التحقيق، تحس. ولكنها، على ما يبدو، ليس لها قوة إرادة، أو ليس لها من قوة الإرادة إلا القليل. إنها تعمل بدوافع تشيرها. وحتى الطفل، ليس له من قوة الإرادة إلا أقلها. ولكننا حين نستشرف الرجلة نصبح قادرين على أن تكون لنا إرادة تامة التكامل. نستطيع عندها، إذا رغبنا، أن نضبط الدوافع المثيرة، ونتخير سبيلنا في العمل بشيء من جهد الإرادة.

كيف نقوى على تحسين قوة إرادتنا؟ الجواب بتمريرها وتدربيها كلما أخذت إرادتك بالتمرين والتدريب، نمت واستحصدت. إن كل نجاح في ميدان الإرادة يجعل النجاح المقبل أيسر وأسهل.

وليس معنى هذا أن علينا أن نخشد أعظم القوى الإرادية في وجه كل مسألة، ولو بسيطة تافهة. كلا! إنما يحسن بنا أن نجعل مقدار الإرادة متناسبًا والموقف. فالرجل الذي يجلس في قاعة من قاعات الشاي، يتساءل في ذات نفسه طوال دقائق خمس، هل يطلب هذا النوع من

الخلوي أم ذاك، لا يدرب إرادته تدريباً مجدياً، بل لعله يضيع بهذا الصنف وقته.

يجب أن لا ندع آلة العقل تحدث في آذاننا دوياً وقرقة هائلين. فليس وعياناً الذاتي للإرادة بهذا الشكل المريع مدعاة إلى تحسينها، بل على العكس، مدعاة إلى أذهاها واسكارها.

إن النصيحة التي أُسديتها في الفصلين السابقين، لو اتبعت، لجدية بأن تيسر عمل الإرادة تيسيراً كبيراً. فإذا كنا نجحنا، حتى الآن، في أن نعتاد النظر إلى الحياة بصفاء ووضوح، والتقرير بعقل هادئ، أي المطامح هي أجدر بأن نسعى لها، ثم أفضنا على ذلك كله مخزوننا من العاطفة والوجدان، انتهت عملية الإرادة إلى أن تكون عملية آلية باطنية، إلى مدى بعيد.

ففكر فيما نعنيه بالخلق Character. نحن نعني به نوعاً من الثبات ونوعاً من الاستواء. إن الرجل ذا الخلق ليس قلباً ولا متلوناً. وإن في مقدورك أن تتبأ، في أكثر الأحوال، بالذى سيعمله في موقف بعينه.

هكذا الرجل الأمين حقاً، لا تعابته فكرة السرقة. إن إرادته هنا تعمل، أو تكاد، بصورة آلية. فهو لا يفرغ في

سبيل ذلك جهداً ما. وهكذا المرأة الطاهرة لا تستطيع أن تسلك غير سبيل الطهر. إن الطهر ليتصل بخلقها، اتصال الجزء بالكل، بحيث أن إرادتها تجري في سهولة ويسر في الاتجاه الطهور.

وذلك كله هو ما يجب أن يكون. فليس التكر والضجيج الصاخب فضيلة في الآلة. إن الآلة الفعالة هي التي تدور في طراوة ولين. وإن إرادتنا لتكون في أحسن حالاتها حين تقرر، بسهولة وثبات، الأشياء التي نرجو أن تقررها في أفضل اللحظات وأصفاها.

وهذا الكلام يسوقنا إلى نقطة أخرى. فهناك، وراء أعمال الإرادة جيئاً، يقوم ادراكتنا الكلي لذاتنا المثالية - الذات التي نود أن نكون. وإذا فعلينا، كل مرة نخier فيها بين أمرين، أن نأخذ بأسباب ذلك الذي هو أكثر اتساقاً مع ذاتنا المثالية. وكلما كانت صورتنا عن نفسها المثالية أكثر حياة، أصبح عمل الإرادة أسهل وأيسر.

استقبل الحياة، إذن، وفي مخيلتك صورة الرجل الذي ت يريد أن تكون. وعندما تجدها الحاجة إلى أن تختار اختياراً ذا شأن في حياتك، انهاج الطريق الأكثر انسجاماً مع صورة نفسك المرجوة.

أما وقد قدمنا هذه التوجيهات العامة، فلننقدم إلى اقتراح بعض الوسائل التفصيلية إلى تقوية الإرادة. لقد شجبنا، من قبل، التمارين الاصطناعية الخيالية التي وضعت لهذا الغرض. فلننبه الآن أن هناك مبدئين من الخير أن ندركها، ونتدريب عليها، إذا كنا نطمع في أن نقوى قوة إرادتنا.

أولها أن علينا أن نقلع عن بعض عاداتنا القديمة، لنتدريب الإرادة من حين إلى حين، وذلك بأن نسقط من حياتنا حساب الهوى أو الدافع المثير، حتى في المواطن التي لا يكون فيها من الخطأ اتباعها، لجرد ترويض الإرادة واستخدامها.

إذا كنت من مدحني التبغ، مثلاً، فاعزم بين الفينة والفينة أن تقضي سحابة نهارك دونما تدخين. ليس عليك جُناح في التدخين، ولكن أطراحك له، إلى أجل، لا شك يلقي إليك بزمام الدافع الداخلي الذي كثيراً ما يجمع.

بيد أن قيامنا بعمل ما، بين الفينة والفينة، لا لسبب إلا لأننا كنا نفضل ألا نقوم به، هو الوسيلة الحقة إلى تقوية إرادتنا.

والमبدأ الثاني هو أن علينا أن لا نتباطأ عن اتباع كل

قرار من قرارات الإرادة بالعمل. فليس من الخير أن تباعد الفترة بين الاختيار والتنفيذ. يجب أن لا تفسح مجالاً لتدخل الهوى أو الكسل، فيما بين الإرادة والعمل.

إن هناك فرقاً بين أن تكون في عقلك فكرة، وبين أن تربط هذه الفكرة بتلك المناطق من الدماغ التي تسيطر على عضلاتنا وأوصالنا. والربط، من غير شك، من عملية أقوى وأبعد. إنه يحدث انتساباً عميقاً في الدماغ. وإذا أتبعنا كل إرادة من إرادتنا بالعمل، كنا نُعد العناصر الرئيسية لبناء خلقنا المكين..

بقيت نقطة أخيرة لا بد من الكلام عليها: إذا عزمت على أمر بعد استعراض دقيق لجميع الحقائق، وانتهيت إلى الاختيار الذي يبدو لك (في جميع الأحوال) إنه الأحكام والأفضل، إلزم اختيارك، ولا تضع الوقت في التأسف، إذا ما ظهر لك بعدُ أنك كنت مخطئاً.

طبعاً، إذا كان لا يزال ممكناً تعديل الأشياء، وثبت لك خطأك، فعدها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ولكن إذا كان كل شيء قد انتهى، وليس من سبيل إلى التعديل، فلا تقلق عقلك ولا تعذب نفسك بالتفكير في أنك

لو كنت تعرف في ذلك الحين كل ما تعرفه الآن، لاخترت اختياراً آخر. هنالك رجال حطموا أنفسهم بثل هذا السلوك الخاطل. إنه لعبث باطل.

ليس فينا معصوم من الخطأ. كل ما علينا هو أن نختار باحكم وأخلص ما نستطيع، في حدود الحقائق التي تكون في متناولنا ساعة نختار. حتى إذا انقلب الأشياء، فيما بعد، إلى شيء، لم يكن لنا أن نؤخذ أنفسنا بشيء. لقد بذلنا أقصى الجهد. وليس يُطلب، حتى من الملائكة، أن يفعلوا أكثر من ذلك.

إن الإرادة، كال الفكر والوجدان، قد جعلت لكي تستعمل. وهي مثلها، أيضاً، قد جعلت لكي تستعمل بشجاعة وثقة.

محصل ما فات

١. الإرادة عملية طبيعية من عمليات العقل.
٢. إنما نقوى الإرادة، كباقي الملكات، بأن تدرب وتترن.
٣. كلما كانت الصورة التي في ذهنا عن نفسها المثالية أوضحت، كان أسهل علينا أن «نريد» ونعزز في الاتجاه الصحيح.

٤. يجب أن لا ترجى ، دقة واحدة ، الحق العمل بالقرار .

٥. إذا تم لنا تقريرنا ، بأكثر ما نستطيع من تعقل وحكمة ،
فليس لنا أن نعنت النفس بعد بالأسف ، إذا ما بربت إلى النور
حقائق جديدة .

٥ - العقل الباطن

هل أنت عازم على أن تنمو وتتكرر؟

ليست عمليات العقل الشعورية لمؤلف، بحال من الأحوال، القصة كلها. فما أكثر ما يجري في عقولنا التي تحت مستوى الشعور. إن لكل منا، في الحق، عقلاً لا شعورياً، أو كما يدعى أحياناً، عقلاً باطناً.

يرجع اكتشاف هذه الحقيقة عن العقل الباطن، أكثر ما يرجع، كما رأينا في الفصل الثاني، إلى سigmوند فرويد. وقد تم لها في أربعين السنة الأخيرة أن تلعب دوراً لا ينفك آخذاً في الكبير، في دنيا النظريات السيكولوجية.

فما هو العقل الباطن تماماً؟ وما وظيفته؟ يجب ألا ننظر إليه كعقل ثانٍ مستقل. وفي مقدورنا، أن نقول باختصار، إن العقل الباطن يجمع كل الحقائق العقلية والأحساس والأفكار غير الحاضرة في العقل الشعوري. إنه مستودع الذاكرة العظيم.

نستطيع أن نستعيد كثيراً من الذكريات في العقل الشعوري، دونما جهد. فأنا أستطيع بلفترة فكرية يسيرة أن أذكر ما الذي طعمته أمس من غداء. ولكن بعض الذكريات قد تونّغ في البعد حتى ليغرس اللحاق بها. فلست أستطيع منها بذلك من جهد الإرادة، أن أذكر ما قلته أو عملته، يوم أن كنت طفلاً، في الثانية من العمر. ومع ذلك فليس شيء مما يقع لنا في الحياة، ممكناً أن يفقد كل فقدان في العقل. إنما يخزن ذلك كله في دنيا الذاكرة اللاشعورية التي لا تُفتح مغاليقها ب مجرد الإرادة.

وقد أظهر فرويد النتائج الخطيرة المترتبة عن إيجاد ذكريات الطفولة الأولى، فيما وراء الشعور. وذلك أننا نستهل الحياة تأقين إلى الراحة والرفاه واللذة حسب. أو بتعبير فرويد، إننا نستهل الحياة وعقلنا الطفل خاضع لسلطان «مبدأ اللذة».

الطفل لا يطمع بأكثر من اللذة والعافية والسلامة. وهو ينظر إلى الأشياء في عالمه، لا كما هي في الواقع، بل كما يريدها أن تكون. حتى إذا أخذ سبيله إلى النمو، قام في نفسه بتناقل وبطء، مبدأ آخر، هو «مبدأ الحقيقة الواقعية».

وفيما يمكن هذا المبدأ الجديد لنفسه، ويوطد دعائمه،

يخلص الفرد شيئاً بعد شيء من سلطان الرغبة في الراحة والرفاه الحالين، ليصبح راغباً في ارتفاع كؤوس القلق والألم، إذا اقتضى الحال، في سبيل الآخرين، أو في خدمة مثله العليا. إنه لا ينظر، بعد، إلى العالم من خلال منظار رغباته الخادع. لقد صار قادراً على أن يرى الأشياء على حقيقتها.

وهكذا لا يعدو التطور الإنساني، من الناحية العقلية، أن يكون، إلى حد بعيد، غلبة لمبدأ الحقيقة الواقعة على مبدأ اللذة.

ولكن مبدأ اللذة، وهذا محور سيكولوجية فرويد كلها، لا يُقتل كل القتل، أبداً، إذا جاز التعبير. إنه في بعض الأحيان يخفي رأسه، ويستتر، بحيث أنتا، حتى حين نبلغ مبلغ الرجال أو النساء، نظل خاضعين، قليلاً أو كثيراً، لسلطان هذا التوق إلى الراحة السهلة واللذة والعافية والسلامة.

ومبدأ اللذة أكثر فعالية في الشخصيات الضعيفة. أما الشخصيات الناضجة فيغلب عليها عنصر الحقيقة. ومع ذلك فهناك أبداً شيء من «الجذب» إلى أدنى، يقوم به مبدأ اللذة، وتخضع له الشخصيات كلها من قوية وضعيفة.

وليس من شك في أن رفع المرء حياته لتساير مبدأ الحقيقة ليكلف دائمًا بعض الجهد.

هذا هو السر في أن من العسير جداً، أحياناً، أن «نريد» الشيء الصالح. نحن نعرف الأفضل، ولكن، مع ذلك، نختار الأدنى، في بعض الأحيان. وحتى في الحال التي تكون فيه صورة نفسها المثالية نصب أعيننا، نجدنا نفسح المجال للكلسل، أو للشهوة، أو للجبن. لعلنا نقول عن أنفسنا أن لنا «إرادة ضعيفة».

يجب أن يفيد كل منا هنا من إدراكه أن نزعاتنا الصبيانية التي لم تُهجر هي التي تتعرض سبباً في أمثال هذه الحالات جيئاً. الأمر بسيط، يتخلص في أننا لم نكبر بعد بالقدر الكافي؛ ولما كان نموّنا لم يتکامل بعد، فنحن لم نلق عن كواهلهنا أثر ذلك التوق الصبياني القديم إلى الراحة واللذة والعاافية.

بالاختصار، إننا لما كنا نولد وفيينا عقل باطن، يسيطر عليه مبدأ اللذة، كان لا بد لنا من أن نحقق لأنفسنا عقلاً ناضجاً حقاً، توجهه الأغراض الحكيمية، والمثل الخلية بالحياة السامية.

ولفهم الذات، في هذا الحقل، قيمة كبيرة. إن هذا

الرجل الذي يحرُّ في نفسه الألم من عادة سيئة، أو خلل في الخلق، ويتحدث في لوعة عن «إرادته الضعيفة» أو نزعاته الفاسدة، جدير بأن يتقدم خطوات نحو الحقيقة إذا عرف أنه لا يعدو أن يكون طفلاً، لم يُمْكِن النمو من الناحية العقلية، وأن عقله الطفلي هو سيده المطاع!

له في بعض الحالات الجدية حقاً، التي يكون المرء فيها خاضعاً لبعض الاختلال في البدن، أو التي يكون العقل فيها فريسة لعادة شديدة الأذى، فمن الخير أن يلجأ إلى التحليل النفسي. وهي طريقة في العلاج يساعد فيها السيكولوجي المريض على الرجوع إلى الماضي لاكتشاف أي الذكريات المخبأة، وأي «الجواذب» الطفالية القديمة هي التي تفسد عليه الصحة والسعادة في حاضره، وتجعل متعدراً عليه أن يحيا كما يحيا شخص ناضج مستكمل النمو حقاً.

إن مهمة الطبيب النفسي هنا أن يفتح عيني المريض على المواطن التي تعمل فيها العقلية الطفالية على إفساد حياته. وعلى ضوء هذه المعرفة الجديدة للذات، يصبح المريض قادراً على أن يواجه الأشياء بعقلية نامية يسيطر عليها مبدأ الحقيقة.

ولكن الناس العاديين ليسوا في حاجة إلى أن يخضعوا

هـ تحليل. يكفي أكثرنا أن يعرفوا أن العادات تعكر عبيه صفاء العقل، وإن صفات الخلق التي تتناقض مع صور خواصهم المثالية، هي نتاج رغباتهم الطفالية القدية، التي لم يضبط بعد بالرغبة في مواجهة الحقيقة واستقباها بالطريقة جديرة بالرجال دون الأطفال. وكثيراً ما تستطيع التفاة هادئة صغيرة أن تكمنا من اكتفاء آثار هذه الدوافع البدائية القدية حتى مستقرها ومخابها. وقد تكون هذه الصفات الطفالية بينة طافية على السطح عند بعض الناس. فمن الواضح جداً أن المرء الذي يتجمهم ويعبس؛ والذي يفزع إلى الدموع؛ أو إلى انفجارات الانفعال الداخلي العنيفة، لأنفه الإثارة؛ والذي يتأكله أبداً الحسد والغيرة؛ والذي يضحي بالواجب الصريح من أجل الكسل والمتعة الشخصية؛ والذي يتهرب، على الدوام، من كل حقيقة صعبة أو مرة.... نقول من الواضح أن مثل هذا المرء إنما يجاهي الحياة بأسلوب الطفولة.

هؤلاء الأطفال الكبار كثيرون في الأرض. وإنهم في أحسن أحواهم ليسمون فينا أوتار العاطفة، ولكنهم في أسوأ أحواهم خطر اجتماعي أكيد.

وليس أحد ب قادر على أن يجيا حياة مثمرة جديرة بأن تعيش إلا بعد أن يُعد نفسه لأن يكون شخصاً نامياً، مريداً

أن ينظر إلى الحقائق قبل أن ينظر إلى الرغائب. إن للطفلة الحقة صفاتها الحببة الطبيعية، ولكن «الطفل الكبير» ليس فيه ما يحب أو يعجب.

مثل هؤلاء الناس هم طفاة صغار، ومخربون اجتماعيون. إنهم يسألون الحياة أبداً هذا السؤال «ما الذي نستطيع أن نأخذ؟» فالأنانية هي الدافع الذي يلف نفوسهم لفأ. إن طريقهم ليغوص بحطام السعادة الزوجية، والصداقات والصلات التي أضحلت وأخنى عليها الفساد. إنهم يحيلون التعاون الإنساني المشر متعدراً. إن دخلوا في حلقة حملوا إليها الشاقق والخلاف. وإن انتسبوا إلى جمعية بذروا فيها التناحر والتفرقة. إنهم لأشد تخريباً من أشد الميكروبات فتكاً.

من شروط النجاح في بناء الشخصية الصالحة القوية أن تتم لنا الرغبة في أن ننمو ونكبر. فليس هذا العالم محلاً للأطفال المتجهمي الوجه، الشاكين أبداً. إن الرجل أو المرأة الناضجين نضجاً حقيقياً يلقيان الحياة بسلاح النمو الكامل، ويدركان أن حقوق الآخرين وسعادتهم، ليست أقل قدسيّة من حقوقها وسعادتها، ثم لا يسألان الحياة «ما الذي نستطيع أن نأخذ؟» بقدر ما يسألانها «ما الذي نستطيع أن نعطيه؟».

العقلية اللاشعورية الموجهة باللذة هي هبة. إنها تولد معنا. والعقلية الناضجة الموجهة بالحقيقة نبات من غرس أيديينا. ولكن الحياة الرفيعة، والسعادة الخصبة، والكمال الإنساني في أسمى معانيه، كل أولئك يتبدى من على أغصان ذلك النبت المبارك دون غيره من ضروب النباتات.

محصل ما فات

١. العقل الباطن هو مستودع الذاكرة العظيم.
٢. هناك ترقد ذكريات لنا كثيرة عن أحداث الطفولة وأفكارها ورغباتها.
٣. مبدأ اللذة هو العامل المسيطر في الطفولة.
٤. ومن هنا كان العقل الباطن أبعد عن النضج والاتساع من العقل الوعي.
٥. تتوقف الرجولة الناضجة على استبدال مبدأ الحقيقة الواقعة ببدأ اللذة.
٦. لن تكون شخصيات مستوية، إلا إذا رغبنا في أن ننمو ونكبر.

٦ - النفس الكبرى

أفد من كنوز العقل الباطن

قد يُظن ، بعد الذي كتبناه في الفصل السابق ، إن العقل الباطن ضرر كله ، وإنه مصدر ضعف فقط .

ليس أبعد من هذا الظن عن حقيقة الحال . وإنما قصدي في هذا الفصل إلى أن أقيم الدليل على أن العقل الباطن يمكن أن يُصطنع سبيلاً إلى القوة . فهناك طرائق متعددة تُسخر معها العقل الباطن لخدمة حياتنا الفضلى .

ولعل من الخير ، قبل أن نتقدم إلى تفصيل القول في ذلك ، أن نقف قليلاً لنقرر حقيقة أخرى هي من المخطورة بجعل بعيد .

نحن جميعاً أكبر جداً مما نحسب . وكل الشواهد التي اجتمعت لنا بالبحث السيكولوجي تشير إلى ذلك . فليس فينا من يفيد ، بل من يكاد يفيد ، من مجموع المواهب والقوى والقابليات التي يملكتها فعلاً . وإن عندنا ينابيع من

القوة لا تكاد نمسُّها ، إلا مَارفيقاً ، وفي الندرة التي ليست في الحسبان .

ذلك أمر لا ريب فيه في الصعيد الجسماني الخالص . فقد فرغت التجارب من إثبات أن الماء يستطيع إذا أحكم عقله بالثقة والإيمان ، أن يوسع حتى من إمكانياته الجسمانية .

نستطيع ، بمؤثر الثقة ، أن نرفع وزناً أكبر ، وأن نبذل جهداً عضلياً أعظم . ولسنا في حاجة ، في الأحوال العادية ، إلى أن نصطنع هذا النوع من البراعة الجسمانية التي وراء الطاقة . فنحن لم نخلق لنبذل في جميع الأوقات ، جهداً وراء الأمكان العادي . ولكن هذه القوى الاضافية ، غير المنتظرة - وهذا هو المهم - هي أبداً هناك ، نستطيع أن ندعوها ، بضرب من السلوك العقلي ، إلى أن تبرز إلى الميدان . ولما كنا لا نعرف ، في العادة ، أن هذه القوى موجودة ، فقليلون جداً هم أولئك الذين يفيدون من هذه الكنوز المختومة .

وكذلك الحال فيما يتعلق بأعضاء الحواس . إن عيوننا لقادرة على أن ترى بأكثر جداً مما يسمح لها أكثرنا ، وأن آذاننا ل تستطيع أن تسمع أصواتاً لا نسمعها في الأحوال العادية إطلاقاً . ولقد سار الارهاف الذي تتميز به بنا

المكفوفين مسير الأمثال. وليس في ذلك ما يدعو إلى عجب. كلُّ ما فيه أن هؤلاء عملوا، تحت ضغط الحاجة، على تنمية الملكات المغروسة في ذات كلٍّ منا، بسبيل الإفادة منها أكثر ما يكون.

لقد قام الدليل الذي لا يُتّهم - بعد إجراء عدد كبير من التجارب في المخابر السيكولوجية - على أننا نملك من قوى البصر والسمع واللمس وما هو بها أشبه قدرًا لا يقُول في وهم ولا خيال. ولكننا لا نستخدم من ذلك كله إلا أقله.

وطبيعي أن يكون هذا الذي صح في المجال النفسي ليس أقل صحة في المجال العقلي. إن أكثرنا ليسوا إلا جزءاً من ذواتهم. أما الجزء الآخر من الذات فنائم، ليس يُوْقَطُ أبداً على الدنيا. نحن نملك من القوى والامكانيات ما لا نطمع إلا نادراً في أن يكون لنا. ولن يُعْجِزَنَا شيء، إذا استبعنا هذه الكنوز الدفينة، وبدأنا نعمل بسبيل تحقيق «الشخصية الكبرى».

لست أدعو إلى مجرد التباهي أو التبجح. بل لست أدعو إلى زيادة الثقة الضَّحْلة، غير العميقه. فالواقع أن هذه كلها أبعد ما تكون عن مبدأ الحقيقة. إنها مظاهر لتلك العقلية الطففية التي تكلمنا عنها في الفصل السابق.

إن الرجل الواثق من نفسه الثقة كلها، لا يتمدح ولا يتبااهي؛ فهو متابعٌ عمله، لا يكاد يلتفت يمينه ولا يسره. ولكن الرجل غير الواثق باطنياً من نفسه، في أي حال، هو هو الذي يتبااهي ويتمدح. إنه يفعل ذلك حفاظاً على شجاعته وإذكاء لنارها.

ليس علم النفس مغنىً عن التفكير الصحيح والفهم العادي. وإن السلوك المتبعج الذي يخفي وراءه دماغاً فارغاً لأشبه شيء عبّنطاد من مناطيد الأطفال قد بولغ في نفخه أبعد المبالغة، فهو ينفجر لأقل المس وارفقه.

ولكن سواد الناس ضعفاء الثقة بأنفسهم، إلى حد بعيد جداً، فهم جزعون من الخروج إلى الخضم العريض وتنمية قواهم التي في الذات. إنهم عاجزون عن أن يفيدوا من نصف حقيقتهم وحقيقة ما يملكون. فإلى أمثال هؤلاء توجه السيكولوجية العصرية كلمة التشجيع. إنها تخبرهم أن كلَّا منهم هو إنسانٌ أكبر بكثير مما قد يتواهم؛ وأن لكلَّا منهم مواهب وإمكانيات لم يمس أهداها إلا قليلاً؛ وإن في كل واحد منهم كياناً نفسيّاً، في حيز القوة، أكبر جداً مما يعتقدون أو يجرأُ على أن يعتقدون.

فمن لنا بفتح سحري لهذا الباب الذي نلجه إلى نفسها الفضلى؟ لقد كنت أُلْمَع إلَيْهِ، من بعيد، في أكثر سطور هذا

الكتاب فلنلخصه الآن في ثلاثة كلمات حواسٍ: الحماسة، الثقة، التصور.

وأقصد بالحماسة ضرباً من العاطفة يلهب طاقاتنا الكامنة ويحرضها على أن تتحقق خير ما يرجى منها. وإن الحب، في متعدد أشكاله، هو أعظم هذه العواطف جيئاً.

ليس فينا من يجهل ما تستطيع أن تقوم به الأم بوحى من الحب. وكيف أنها، تحت ضغط المرض الذي يمتص النضرة من وجنى ابنها، أو الخطر الذي يتهدده بالموت الباكر، تُظهر قدرأً من قوى الشجاعة والاحتمال لا يكادُ يتخيل. وكلنا يعرف شيئاً من الذي استطاع عمله محبو الإنسانية الكبار، وهم رواد الجنس البشري وأنبياؤه وقادته. إن الرجال والنساء ليفعلون، في الحب، ما لا يستطيعون تحقيقه بحال، لو تأتوا إليه عن غير هذه الطريق.

وأقصد بالثقة الإيمان الحق بقدرنا على أن نعمل ما نشعر أننا مدعوون إلى عمله. ومحصل هذا اطراحُ الجبن والخوف وعدم الاطمئنان إلى النفس، والرغبةُ الشجاعة في أن تستقبل الحياة مؤمنين بأنفسنا، ساعين، في رجاء وأمل، إلى غايتين من اكتشاف الذات، وتنمية الذات. ذلك هو العزم الهداء على أن نفيد أفضل الفائدة من نفوسنا، لا في

سبيل أغراض تتصل بأشخاصنا فقط ، بل في سبيل الصالح العام والخاص جيعاً.

أما التصور فإنما أعني به أن تمثل أبداً صورة الرجل ، أو المرأة ، الذي نريد أن نكون ، أو التي نريد أن نكون ، وأن نستحضر في الخيلة نفسها المثالية ، على الدوام . التصور بهذا المعنى يفيد نوعاً من الأدراك الكلي الحقيقى للأهداف التي تُعنى ببلوغها ، والأمال التي ستوجه حياتنا ، والأشياء التي نرغب في أن نسعى لها ونخدمها .

وليس من شك في أن هذه الثلاث - الحماسة والثقة والتصور - متصل بعضها ببعض أو تتوافق . وفي مقدورنا أن نربيها باتباع الوصايا التي أخذتنا بها فصول هذا الكتاب . وإن ما جاء في الفصل الثاني والفصل الثالث بخاصة في موضوع الشوق والعاطفة لعظيم الأهمية .

ولكن هنالك ، قبل ذلك ، كلمة يحسن أن تقال في تسخير طاقات العقل الباطن لخدمة حياتنا الفضلى . و تُعرف السبيل إلى ذلك ، في الاصطلاح الفنى ، بالابحاء الذاتي . auto-suggestion

وإنما ينبع «الابحاء» على أساس من الحقيقة التي

تنص على أن أيها فكرة تتخذ سبيلها، فعلاً، إلى العقل الباطن، تنزع إلى أن تتحقق ذاتها.

ذلك أنه إذا كانت الرغائب والأفكار الطفالية العنيفة الحية في حواشي العقل الباطن، تجذبنا، ما تزال، إلى أدنى، فكذلك الأفكار والرغائب الجديدة التي تدخل محراب هذا الهيكل تستطيع أن تحيي، وتحدث بدورها «جذباً» جديداً. إنها هي أيضاً قادرة على أن تخدش قوى العقل في سبيل تحقيقها.

ولكن هنا أمراً. إذا كان هذه الأفكار والرغائب الجديدة أن تؤتي أكلها، تتحمّ أن «تنفذ» إلى بعيد في هذا العقل الباطن. لنخرج المسألة الآن مخرجاً واقعياً بعيداً عن التجريد، ناظرين إليها من زاوية بعض الأمثلة البسيطة التافهة.

هنا فتاة كاعب، بعض أظافرها بأسنانها. كيف تستطيع هذه الفتاة أن تطرح عادتها الذميمة؟ عليها أولاً أن تتأتى للأمر من الناحية الشعورية. يجب أن تقول في نفسها إنها عادة خسيسة قدرة، وإنها مظهر من السلوك كريه، ينافي القواعد الاجتماعية. يجب عليها أن تخاطب نفسها بأن واجباً عليها، نحو الآخرين، بقدر ما هو نحو نفسها، إن تبدو أحسن ما يمكن أن تبدو.

عليها أن تدرك أحـر الإدراك وأـشهـرـهـ أـثـرـاـ، مـبلغـ ماـ عليهـ أـصـابـعـهاـ فيـ حـالـتـهاـ الـحـاضـرـةـ، منـ القـبـحـ الدـاعـيـ إـلـىـ نـفـرـةـ النـاسـ وـاـشـمـئـازـهـمـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـتـمـثـلـ صـورـةـ يـدـيـهـاـ كـيـفـ تـكـوـنـ إـمـاـ عـنـيـتـ بـأـظـافـرـهـاـ وـأـحـسـنـتـ صـيـقاـهـاـ وـصـبـغـهـاـ بـأـلـوـانـ الـأـصـبـاغـ الـمـعـرـوـفـةـ عـلـيـهـاـ. إـنـ تـعـزـمـ عـلـىـ أـنـ تـرـفـعـ عـنـ هـذـهـ الـعـادـةـ الـقـبـيـحـةـ الـتـيـ لـاـ تـتـفـقـ وـمـاـ بـلـغـتـ مـنـ شـابـ. ثـمـ إـنـ عـلـيـهـاـ آـخـرـ الـمـطـافـ، أـنـ تـقـولـ لـنـفـسـهـاـ، فـيـ رـجـاءـ وـثـقـةـ، إـنـ فيـ مـقـدـورـهـاـ أـنـ تـحـقـقـ هـذـاـ الـذـيـ عـزـمـتـ عـلـيـهـ، فـلـيـسـ هـوـ بـالـمـعـجـزـ بـحـالـ.

تـلـكـ أـبـوـابـ مـنـ التـأـيـيـ الشـعـورـيـ لـلـمـسـأـلـةـ. وـلـاـ شـكـ فـيـ أـنـكـ لـاـ حـظـتـ أـنـ قـوـامـ الـعـلـمـ كـلـهـ، هـنـاـ، ذـلـكـ التـالـوـثـ الـذـيـ نـوـهـنـاـ بـذـكـرـهـ فـيـ فـقـرـةـ سـابـقـةـ مـنـ هـذـاـ الـفـصـلـ: الـحـمـاسـةـ وـالـثـقـةـ وـالـتـصـورـ.

وـلـكـ هـذـاـ كـلـهـ قـدـ لـاـ يـجـدـيـ. أـجـلـ. قـدـ تـعـجـزـ الـفـتـاةـ عـنـ التـغـلـبـ عـلـىـ عـادـةـ عـضـ الـأـظـافـرـ بـرـغـمـ اـسـتـعـدـادـهـاـ الـطـيـبـ، وـرـغـبـتـهاـ الـحـقـةـ. وـمـؤـديـ ذـلـكـ، بـالـنـظـرـ السـيـكـوـلـوـجـيـ، إـنـ مـبـدـأـ الـلـذـةـ الـقـدـيمـ أـمـنـعـ مـنـ أـنـ يـقـوـيـ عـلـيـهـ الـمـبـدـأـ الـمـسـتـحـدـثـ، وـهـوـ هـنـاـ الـأـضـعـفـ، أـعـنـيـ مـبـدـأـ الـحـقـيـقـةـ.

فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـحـالـ، تـسـتـطـيـعـ الـفـتـاةـ أـنـ تـصـطـنـعـ أـسـلـوـبـاـ خـاصـاـ. تـهـجـمـ بـهـ عـلـىـ مـبـدـأـ الـلـذـةـ فـيـ مـوـطـنـهـ، بـالـذـاتـ، فـيـ

العقل الباطن. إنها تستطيع أن تحمل العقل الباطن على أن يعمل على تعديل نفسه. وإنما يتم لها ذلك بما يدعى «الإيحاء الذاتي».

عليها، كلما أوت إلى فراشها، ساعة يكون جسمها مرتاحاً، وعقلها وسنان، وساعة تحس أن النوم صار منها أقرب ما يكون، ودون أيها محاولة منها لطرد النعاس، أن تهمس بأرق ما يكون الهمس، في صميم نفسها، هذه الجمل، مرات تتراوح بين الست عشرة والعشرين:

«لقد سلخت مدة لم أُعُض فيها أذنافري؛ ولددة آخذة في التطاول والتطاول. كل يوم ينقضي يزيد هذه العادة ضعفاً على ضعف. إن أظافري لتبدو أجمل. ولوسون أنعم وشيكاً بيدين ناضرتين من أثر العناية الحسنة».

تُسِرُّ في نفسها هذا الكلام، وهي في حال النعاس الغلاب، دون ما محاولة إلى أي تركيز عقلي، عشرين مرة ليس غير، على التكثير، ثم تستسلم لسلطان النوم القاهر. أما إذا غلبتها النوم قبل أن يتم لها الهمس بهذه الإيحاءات العشرين كلها، كان ذلك خيراً وأبقى.

وإنما تقوم الفتاة بهذا الصنيع في كل ليلة، طوال بضعة أشهر. وليس من حاجة إلى أن تفكر في هذه العملية،

مُطلقاً، في ساعات اليقظة. كل ما عليها أن تترك العمليات اللاشعورية تأخذ سبيلها بنفسها وبأسلوبها الخفي الخاص. إنها بذلك تُعمل قوى في عقلها هي ألطف وأعمق من التأمل الفكريّ ومن قوة الإرادة العادلة، جميعاً. فالعقل الباطن قوة يحسب لها حساب.

ذلك هو الإيحاء الذاتي. وإن في مقدوره أن يعالج مشكلات أهم وأعضل من عض الأظافر... فكأي من رجل (أو امرأة) استطاع بفضلها، أن يحطم أصفاد العادات، الموجلة في القدم، ليترفع إلى كيان نفسي جديد، هو أرحب أفقاً، وأوسع نطاقاً.

ويحسن هنا التنبية إلى أن الإيحاء الذاتي لا يُعني عن الحماسة والثقة والتصور، التي سبقت منا الكلمة فيها، والتي تتصل بالعقل الشعوري. والخير كل الخير في أن يقرن الإيحاء الذاتي بهذه جميعاً، فيزيدها قوة، وإن يُحدث في دنيا العقل الباطن، ما تحدثه هذه في دنيا العقل الشعوري.

ونحسب أن أشرس ضروب العادة والاخفاق، لا يقوى على الصمود في وجه المعلم الجبار الذي يسلح به الإنسان جمعه الإيحاء الذاتي إلى الحماسة والثقة والتصور، وتوجيهها جميعاً وجهة واحدة تلك قوة عارمة تأقى على كل شيء.

محصل ما فات

١. إن في إهاب كل منا لنفساً هي أرحب وأعظم مما قد سبق له أن اكتشف.
٢. الحماسة والثقة والتصور هي المفاتيح التي تُعيينا على اكتشاف النفس الكبيرة.
٣. الإيحاء الذاتي يمس بعصاه السحرية الطاقات الكوامن في العقل الباطن، ويشير إلى العمل، هناك، قوى لا تنفذ ولا تحد.

لِيَفَ تَسْفِيْدِ حَمَّ عَالَمَ النَّفَسِ؟

- لِيَسَّ السِّيَكُولُوجِيَا عَالَمَ نَظَرَتِي تَجْرِيَتِي .
- اِنْهَا تَحْلِي بِالْحَيَاةِ الْيَوْمَيَّةِ، لِكُلِّي فَرِيْ
مِيَّ النَّاسِ أَسْتَأْنَهَالَّ .
- وَالرَّاقِعُ إِنَّهُ عَالَمَ النَّفَسِ الْعَالَمِ، بِسَكَلِهِ الْبَيْطَ
قَدْ فَسَحَ الْمَجَالَ لِأَسَامِ الْقَارِعَةِ الْعَارِمِيَّ
لِيَفْرَمِ الْحَيَاةِ أَصْحَى وَارَالِهِ لِتَكْلِفُهَا أَوْفَهَ .

١ - السن العقلية

ما هو هذا الشيء الذي ندعوه ذكاءً؟ ربما كان ما نعرفه اليوم معرفة تامة عن الذكاء أكثر مما نعرفه عن أي مبحث آخر من مباحث السيكولوجيا. وقد كان من المعتقد، قبل العشر السنوات الأخيرة أن الذكاء عام. إلا أن المعروف اليوم، بصورة قاطعة لا مجال للشك فيها، أن هناك عدة ضروب من الذكاء، وأن هناك أيضاً عدة درجات من كل ضرب.

والذكاء المجرد ينطوي على نوع من الصفة العامة التي تتطرق إلى كامل الجهاز الصناعي. فالمراقب في دائرة ما، والرجل الذي يشرف على الآلات الأوتوماتيكية، لا يحتاجان إلا إلى قدر واحد من الذكاء الميكانيكي تقريباً. غير أن المراقب العام يحتاج إلى قدر من الذكاء المجرد أكبر. أما رئيس العمل فيحتاج إلى قسط من الذكاء المجرد أكبر من ذلك الذي يحتاجه المراقب العام، وإنه ليستطيع، في بعض أنواع الصناعات، أن يقوم بعمله بصورة حسنة وهو

يتمتع بذكاء ميكانيكي أقل. والعامل اليومي لا يحتاج إلى كثير من أي نوع من أنواع الذكاء ، ولكنه ، عادة ، يملك أقل مما هو مطلوب.

إن الذكاء المجرد ، في لغة الصناعة ، هو تلك الصفة أو المقدرة التي تمكن الشخص من القيام بالنواحي الفكرية في عمله والتي تجعل مدة تعلمه إما قصيرة أو طويلة ، والتي تحكم بقدراته على تكييف نفسه حسب تطور الأحوال.

وامتلاك الذكاء المجرد ، الذي يتطلبه عمل معين يجب أن لا يكون الشيء الوحيد الذي يطلب في العامل. يجب أن تكون مقدراته وأشواقه الأخرى متماشية مع مطاليب العمل ومتطلباته. غير أن الذكاء المجرد يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار بعد أن يكون العامل قد أعد إعداداً فنياً. فإذا كان هذا الذكاء المجرد أقل مما ينبغي ، ركن العامل إلى الصمت ، وإذا كان أكثر مما ينبغي ، كان من المتضرر أن تستولي الخيبة عليه من جراء عمله الذي يعتقد أنه دون مقدراته ، إلا إذا حرص رؤساه على ترقيته بين الفينة والفينية.

لقد قال أمرسون Emerson: «إن الرجل الكسول هو الذي يستطيع أن يقوم بعمل أفضل ».

★ ★ ★

إن في السوق بعض دزينات من اختبارات الذكاء المجرد المفيدة. وهناك، إلى جانب هذه الاختبارات، اختبارات غير رسمية، قد تكون أكثر نفعاً وفائدة في عالم الصناعة.

إن معظم الاختبارات الرسمية تعتمد على قدرة طالب العمل على القراءة والكتابة، ولو أن اختبار الكتابة يوضع بحيث يكون سهلاً إلى أبعد الحدود.

والقدرة على تفهم الأوامر والتعليمات مهمة في الذكاء المجرد، مثلما هي مهمة في الصناعة، ومن هنا كانت معظم الاختبارات الرسمية تشتمل على هذا المطلب.

ارسم دائرة صغيرة تحت الكلمة الثانية في هذه الجملة، ودائرة كبيرة تحت ثاني الكلمات المؤلفة من ثلاثة أحرف.

والمعرفة العامة يمكن أن تدمج بالقدرة على تفهم الأوامر والتعليمات، كما في هذا المطلب:

إذا كان الرصاص أثقل من الحديد، فاكتب ١٤٩٢ في آخر هذه الجملة، ولكن إذا كان وشطون قد حرر العبيد، فاضرب على الرقم المكتوب في آخر الجملة.

ويكفي أن يعرف مقدار التمييز العملي الذي يملكه طالب العمل من قدرته على الإجابة على هذا السؤال:

لما كانت معظم حوادث القطارات تحدث لآخر عربة في
القطار هل يقل عدد الحوادث على الخطوط الحديدية إذا
سار القطار دون العربة الأخيرة؟

أما القدرة على معالجة الأمور المجردة بعض الشيء
فيوضع لها المطلب العددي التالي:

اماً الفراغ بالعددين اللذين يتلوان:

1	2	3	4	5	6
2	4	6	8	10	12
10	11	15	16	20	21
4	1	5	8	1	9

وكذلك جرت العادة أن يوضع السؤال التالي لمعرفة
القدرة على تفهم المعنى في الجمل المختلطة:

هل الجملتان التاليتان صحيحتان؟
النساء كل سمينات
يخطيء من الجائز أن المبشرون

★ ★ ★

ولا تعطى جميع المواد في الامتحان الرسمي الوزن

نفسه، وبعد اختبار صعوبتها النسبية، يحذف بعضها بالكلية، ويعطى بعضها علامةً واحدةً إذا أجب عنها بصورة صحيحة، في حين يعطى بعضها الآخر خمس علامات إذا كان الجواب عنها صحيحاً.

والعمر العقليّ، لمواد الامتحان المختلفة إنما يوجد، عادةً، بأن تؤخذ تلك المواد التي يستطيع أن يجيب عليها ٧٥٪ من أطفال لهم سنّ واحدةً معينة. فمثلاً، إذا استطاع عشرة بالمئة من عددِ الأطفال الذين لهم من العمر عشرة أعوام، وخمسون بالمئة من عددِ الأطفال الذين لهم من العمر أحد عشر عاماً، وأربعة وتسعون بالمئة من عددِ الأطفال الذين لهم من العمر ثلاثة عشر عاماً أن يعيدوا، بصورة صحيحة، ترتيب هذه الجملة: «النساء كل سفينات» وأن يعرفوا ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة، كان واضحاً أن هذه مادةً يجيب عليها من كان عمره العقلي إثني عشر عاماً.

أما العمر العقلي الذي يقف عنده المرء فلا يزال مشكلة حتى اليوم. فمنذ خمسة عشر عاماً، كان العمر العقلي الرابع عشر يعتبر القمة العليا. وقد رُفعَ منذ عشرة أعوام، بعد الاختبار، إلى ستة عشر عاماً. والاختبارات والتجارب التي قام بها الدكتور ف. م. تيجرarden Dr. F.M. Teagarden

تدل بقعة على أنَّ الفرد يمكن أن ينمو نمواً ثابتاً في الذكاء المجرد، وأن يبلغ عمره العقلي تسعة عشر عاماً تقريباً. وهذا، غير شك، لا يعني أنَّ المرء لا يحقق تقدماً في استعمال قواه العقلية بعد السن التاسعة عشرة، ولكنه يعني أنَّ الذكاء المجرد نفسه لا ينمو نمواً كبيراً بعد هذه النقطة. وليس من شك في أنَّ كثيرين لا يصلون أبداً إلى العمر العقلي التاسع عشر، ولو أنَّ أعمار أجسامهم، في بعض الأحيان، تبلغ الخمسين عاماً.

إنَّ هناك عدداً من الدلائل غير الرسمية، والتي يمكن الاعتقاد عليها، على كمية الذكاء المجرد. هذه الدلائل يمكن أن يفاد منها بطريقة عامة.

إنَّ طالب العمل الذي لم ينْهِ، مثلاً، إلَّا الصف الخامس من مدرسته الابتدائية، يجب أن لا يعطى عملاً عقلياً يبلغ أكثر من عشرة أعوام. وقد يكون في هذا بعض الظلم يحيق ببعض الأفراد، ولكنَّ من الخير أنْ يُحسم، مع الزمن، كل شيء إلَّا الصفُّ الذي كان آخر ما اجتازه طالب العمل يوم كان تلميذاً؛ ولعل من الأسلم في معظم الحالات، أنْ يطرح صفان أو ثلاثة صفوف من عدد الصفوف التي يدعي طالب العمل أنه اجتازها في مدرسته. أمّا إذا لم يجتز سوى

صفوف ثانية، فإنَّ العُمر العقلي الذي يجب أن يُعطى له ثلاثة عشر عاماً على الأكثَر.

والأعْمار العقلية التي لأقرباء طالب العمل وأبويه دليلٌ جيدٌ آخر. فالتوأمان يتمتعان بذكاء مجرّد واحدٍ تقريباً، والأخوة والأخوات يشبه بعضهم بعضاً، من حيث الذكاء المجرّد بأكثَر من الأطفال الذين لا تربط بينهم صلة القرابة.

وطالب العمل الذي تعمَّل أُسرته أعمالاً يومية لا يحتمل أن يكون عمره العقلي أكثر من عشرة أعوام أو إثني عشر عاماً. ولكن ما هو مجال إبراهيم لنكون؟ حسناً، إنَّ أجداده كانوا على رأس تجارة الحديد في بانسلفانيا. وفي هذا ما يدلُّ على كثيَر من الذكاء الوراثي المتأصل.

★ ★ ★

ومستوى الذكاء المقرر لهنَّة الأَب يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الكلي كدليل تقريبيٌّ لما قد يكون عليه مستوى الطالب.

والمهنُ السابقة التي كان طالب العمل يتَّعَاطاها، أو التي لم يجِّبها، تظهر، بطريقة غير مباشرة، مقدار ذكائه.

وإليك فيما يلي جدولٌ بالمهن المختلفة مرتبةً على أساس ما

تتطلبه من متوسط المقدرة العامة (مع العلم بأنَّ كثيرين قد ينهضون بأعباء هذه المهن، بقدرة هي دون المتوسط، بسببِ من بعض العوامل المعاوِضة كهبوط مستوى الإنتاج أو الزواج من أبناء رئيس العمل، في حين يصحَّ العكس في أولئك الذين يملكون من المقدرة أكثر مما تتطلبه أعباهُم فتحلَّ الخسارة بهم وبالعمل الذي يقومون به أيضًا).

هؤلاء تقتضيهم أعباهُم سنًا تبلغ الثامنة عشرة والنصف:
المحاسبون.

مدراء الأعمال التجارية.

مدرسُو الكليات.

هؤلاء تقتضيهم أعباهُم سنًا عقلية تتراوح من 16 عاماً إلى 41 عاماً:

التجار.

الكميائيون.

رؤساء تحرير الصحف.

الحامون.

المهندسون (الميكانيكيون، والكهربائيون والمدنيون).

رؤساء العامل.

بائعو سندات التأمين.

الصحافيون.

مراسلو الصحف.

أطباء الأسنان.

الرسامون.

مدرسون المعاهد الابتدائية.

هؤلاء تقتضيهم أعمارهم سنّاً عقلية تتراوح من ١٥,٩ عاماً إلى ١٥,٩

موظفو المصارف.

منظمو الدفاتر التجارية.

مراقبو الأعمال البنائية.

مراقبو المعامل.

المرضات.

موظفو المكاتب.

المصوروون.

موظفو إدارات البريد.

هؤلاء تقتضيهم أعمارهم سنّاً عقلية تتراوح من ١٣,٦ عاماً إلى ١٥

عمال السيارات الميكانيكيون

الحلاقون.

البناةون بالآجر أو مركّبو القرميد.

الجزّارون .
النّجارون .
المسبّضعون .
سائقو السيارات .
عمّال الاسمنت .
الخياطون .
المزارعون .
الحدّادون .
صانعو الأسلحة .
مربّو الخيول .

هؤلاء تقتضيهم أعمارهم سنّاً تتراوح من ١١,٥ عاماً إلى ١٣,٥
عمّال الخيش (الجنفيص) .
عمّال البناء .
الخدم في المنزل .
عمّال المعامل .
رجال المطافئ .
عمّال الجلود .
قاطعو الخشب في الغابات .
البناةون .

هؤلاء تقتضيهم أعمارهم سناً عقلية تتراوح من ١٠ أعوام إلى ١١،٤:

- صيادو الأسماك.
- مدراء المكاتب.
- الأطباء.
- أمناء السر الخصوصيون.
- مدراء الأعمال التجارية الصغار.

★ ★ ★

- عمال الراديو.
- موظفو الراديو.
- موظفو الشحن.
- الكتاب بالاختزال.
- موظفو المستودعات.
- موظفو المرور.
- موظفو البرق.
- الضاربون على الآلة الكاتبة.
- البائعون بالجملة.

★ ★ ★

غسالو الثياب.
فاحصو الخطوط الحديدية.
مصلحو الأسلام البرقية.
صانعو الآلات.
الخبراء بالآلات.
صانعات قبعات النساء.
سائقو مركبات السكة الكهربائية.
مركبو الأنابيب والأقنية.
الرصاصون.
رجال الشرطة.
عمال المطابع.
عمال التلفون.
خدم المطاعم.
الحالون.
الملاحون.
صانعو الأحذية.
عمال الأبنية الفولاذية.
عمال مصانع النسيج.
الحرّاس.



إن نظرة أولى لنقيها على الذكاء في عالمنا هذا بوجه عام، وفي الصناعة بوجه خاص، قد تميل بنا إلى التشاؤم، وذلك لما يبدو من استحالة تحسين المرء لذاته عن طريق تحسين هذا العنصر الثمين. إن هذا، على ما يبدو، هو القدرة الجسمة. بيد أن الإنسان العادي، كما أشار السير آرثر كيث Sir Arthur Keith نادراً ما يُفيد من نصف قواه العقلية.

وقد تناصر المشكلة الرئيسية في القدر الذي يستعمله هذا الرجل من الذكاء المجرد عادةً، لا في القدر الذي يملكه منه، والذي يستطيع أن يفيد منه فيما إذا أراد. والقدر الذي يستعمله يدل على ذكائه الفعلي، في حين يدل القدر الذي يملكه على ذكائه الواقعي. ولا حاجة بنا إلى القول إن المقياس الحقيقي للرجل يجب أن يكون ذكاءه العقلي.

وال المشكلة التي تواجه مستخدم الرجال الذين يتخرجون من الكليات هي جعلهم يستعملون ذكاءهم ويفيدون منه. وهذه هي المشكلة في حالات كثير من الرجال. بيد أن الرجل لا يستطيع أن يستعمل أكثر مما يملك، أو يفيد منه. فيجب أن نفهم تماماً الحدود التي يقيّمها ذكاؤه الواقعي، فلا نحمله أكثر مما يطيق.

ويجب أن يؤخذ الذكاء المجرد الواقعي بعين الاعتبار في جميع حالات التوظيف والترقية، وفي اختيار المرأة مهنة لنفسه أو لأولاده، ولكنه يجب أن لا يصبح شرطاً لا مفرّ منه منها كانت الحال.

فلقد أغرم المدير العام لأحد المصانع الكبرى في مدروست *Midwest*، مثلاً، منذ خمسة أعوام أو تزيد، بأن يسند إلى كل عامل عملاً يتافق تماماً وذكاءه المجرد. وراقت الفكرة للإدارة، وأخذت تنظم الفحوص الرسمية، ثم استدعت عالماً نفسانياً لتأكد من أن العامل يملك الصفات اللازمة لعمله. وليس من شك في أن نظامهم هذا كان، من الناحية النظرية، نظاماً جيلاً حسناً، ولكن الذي يبدو هو أنه لم ينجح النجاح كله.

لا تجعل المقدرة العامة ديدنك على الإطلاق، ولكن أولاًها عنائك واهتماك الكليين. إن المقدرة العامة عاملٌ ديناميكي في جميع الأعمال، وبخاصة في طبقات الصناعة العليا. إنها أداة أخرى مساعدةٌ للتميز في الإدارة والتنظيم. وهي، إذا ما استعملت بطريقة صحيحة في توجيه التميز الإداري، كانت فائدتها عظيمة لا حدود لها. ولكن هذا كله ليس سبباً للظن بأنها تستطيع أن تراحم التمييز، وأن تحلّ محلّه.

٢ - الشوق مساعدٌ للعقل

لا بدَّ أتنا جيئاً قد سمعنا رجلاً فظاً يقول: «أنا لا أرضي بأن يكون لي مال هذا الرجل، فإنَّ لدىَ من بواعث الهمَّ والتفكير، وأنا في حالي هذه، ما يكفيني!».

ونحن، طبعاً، نشك في صدق هذا الرجل. ويتأكد لدينا هذا الشك عندما نسمع في اليوم التالي أنه رجا رئيسه أن ينحه زيادةً في أجره. بيد أن هناك، على كلَّ حقيقةٍ نفسيةٍ كبرى في كلامه.

وهذه الحقيقة هي أنَّ المال ليس هو كلَّ شيءٍ يعمل الرجال في سبيله. إنَّ الإدارة العملية على هذا الأساس، إذا أتبعها المسؤولون والمنفذون في المصانع أو الشركات، هي التي تتيح سبيل النجاح المؤكَّد في تكوين هيئة مخلصة ناجحة سعيدة من الموظفين.

إنَّ الأجر الأفضل الذي يمكن أن يقبضه الموظفون والعمال ليس هو الدولارات الأميركيَّة، فهذه سريعاً ما

تنفق، وحتى ذكرها والأشياء التي ابتعاتها سريعاً ما تبلى وتزول.

ولكن ما قولك في الأجر العقلية التي تدفعها الوظيفة لشاغلها؟ إن هذه طبعاً لا توضع ضمن الظرف يوم دفع المرتبات، ولا تدفع ظهر السبت، بل تدفع في الحقيقة في كل دقيقة من الدقائق التي يقوم العامل فيها بعمله.

ويكون الأجر العقللي قليلاً إذا لم يكن الموظف راغباً في عمله ومهتماً به. أما إذا كان يعمل عملاً يلائم ويجبه، فعندئذ يرتفع أجره العقللي. وبالاستطاعة إيجاد عمال يجدون في عمل يكرهه غيرهم لذة ورغبة ويدون به اهتماماً. إنهم جديرون بأن يوجدوا، ذلك بأنه منها كان الأجر ضئيلاً فإن هذا الأجر يكون كثيراً على العامل إلا إذا كان مهتماً بعمله راغباً فيه. ولعل من الخير دائماً، قبل أن نلوم العامل على قلة اهتمامه ورغبته في عمله أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: «ما الذي نستطيع فعله لنجعل العامل أكثر لذة ومتعة، وأكثر إثارة لسوق العامل ورغبته؟».

ولسوف تدهش وتعجب عندما تعلم أيّ أجر مرتفعة يتراضاها أولئك الذين يجمعون نفاثات اللحم، كالأشاء والمصارين وغيرها. إن السبب في هذا هو أن أجرهم العقللي

ضئيل جداً، وأن أجرًا مرتفعاً بالنسبة يجب أن يدفع لهم نقداً بالدولارات الأمريكية ليُضمن استمرارهم في العمل دون أن يضيعوا أي قسم من الوقت. قارن هذا بالأجر التقدي الذي يتلقاه موظف في مصرف من المصارف. الواقع أنه كلما رفعت الوظيفة أو العمل من «طبقة» الموظف ودرجته الاجتماعية، تحسن أجراها العقلي، وانخفاض، في كثير من الأحيان، أجراها المادي الحقيقي.

★ ★ ★

إن الأجر العقلي ترتفع عندما يُعهد إلى العمال ببعض المسؤولية، وتاح لهم الفرص لإظهار نشاطهم ومبادرتهم.

ويستطيع المراقب أو رئيس العمل، في كل محاولة تجري بينه وبين الموظف، أن يضيف قدرًا آخر إلى أجراه العقلي. فعندما يعهد إلى عامل أو موظف عمل آخر، ويقال له: «أرجو أن تسلم هذا العمل» فإن أجراه العقلي يكون أكبر مما يكون لوقيل له: «أسرع وانه هذا العمل». إن مسؤوليته تتضح عندما يُطلب إليه أن يعني بالتفاصيل.

★ ★ ★

وحالما يأخذ أصحاب مصنع أو شركة ما في أن يفكروا

في منح عاهم وموظفيهم مكافأة أو علاوة أو أي نوع احتيالي آخر من أنواع الدفع، فإن علم النفس يبدأ في أن يشك في أنهم إنما يدفعون لهم أجوراً عقلية ضئيلة، وأنهم يحاولون أن يداووا هذا بأن يضيفوا مغريات مادية إلى نظام دفع المرتبات. إن هذه المكافآت، من الناحية النظرية، ممتازة. أما من الناحية العملية التطبيقية فإنها تنجح في مكان واحد لتحقق في آخر، ذلك بأنها لا تستطيع أن تعوض صاحبها من الأجر العقلي الواقي.

إذا كانت شركتك (أو مصنعك) منظمة بحيث أن الموظفين يعملون فيها من أجل المال فحسب، فإن إدارتها لا شك سيئة. هل فكرت مرة واحدة في الأجر العقلي الذي تدفعه لهم يومياً؟.

إن الأجر العقلي يكون في ذروته عندما يعمل الناس أعملاً تتفق وتتلاءم مع أشواقهم وميولهم ورغباتهم الذاتية الداخلية.

وأشواق الفرد ورغباته الحقيقة تتد جذورها من حياته الانفعالية الداخلية، وكثيراً ما تكتشف بطريقة غير مباشرة فقط أو للملاحظ المدرب خصيصاً على اكتشافها. إن الشخص العادي يدعو هذا، في العادة، «الشخصية». وما الشخصية إلا بيان للصعوبات التي يلاقيها المرء في

تعديل حياته الانفعالية لتلاءم مع بيئته، ومقدار ما تم له من نجاح أو إخفاق في هذا التكيف والتعديل.

لقد تبدل العالم، ولكن الطبيعة البشرية لم تبدل. فالطبيعة البشرية الغرزرية هي نفسها اليوم كما كانت منذ عشرين قرناً. إن الرغبات والميول الرئيسية لم تغير، ولكن العالم الخارجي قد تغير بطريقة الرغبات والميول مكبوتة، أو يجب أن تجد لها تعبيراً غير مباشر. ولا شك في أن كثيراً من التنافس والقلق والشقاء الإنساني مرده إلى الميول الغرزرية المكبوتة.

إن اعتلال الشخصية يعني أكثر من مجرد تقرير ما إذا كان المرء شعبياً أو غير شعبي. إن تفرعاتها لتمتد، في الحق، إلى كل وجه من وجوه السلوك الإنساني. والشخص الشعبي الذي يحبه خلق كثير قد يكون له، مع ذلك، عدد من صفات الشخصية غير السليمة. وهكذا نجد أنه في حين أن أعراض الشخصية غير المتزنة قد لا تقنع الفرد من أن يكون شعبياً، فإنها، بالفعل، قد تزعزع النشاط الشخصي، وراحة البال، والقدرة على الصمود في وجه أي عاصفة منها كان نوعها.

★ ★ ★

ويستطيع القارئ أن يكون فكرة عملية عن أمارات اعتلال الشخصية عندما يقرأ لائحة الأسئلة التي نشرها في ختام هذا الفصل، والتي يدل كل سؤال منها أجيب عنه بالإيجاب على عنصر من عناصر الشخصية لم يعدل تعديلاً صحيحاً. إن للشخص العادي، من بين كل أمارات ثلاث، أمارة واحدة لا تدل على صحة الشخصية. ولعل المثبطات في هذا العالم غير موزعة بالتساوي بين الناس. وإنما فلم لا يشكو جميع الناس من العلل الشخصية عينها؟ ولماذا يبدو أن بعض الأفراد يستطيعون التغلب على هذه الصعاب المثبطات في حين يقع الآخرون ضحايا لها؟

والوراثة ليست هي التفسير لهذا في هذه الحالة، كما هي الحال في المقدرة العامة. إن السبب، في حالة الشوق الرغبة، إنما يوجد في وجهة نظر الفرد الخاصة إلى هذه المثبطات.

أَمَارَاتُ الْكَبْتِ الْأَنْفُعَالِيِّ

الذِّي يُسَبِّبُ فَقْدَانَ الرُّغْبَةِ فِي الْعَمَلِ وَالْأَهْتَامِ بِهِ

- هل تُحِسَّنَ، أَحِيَّانًا، بِصُعْدَةٍ فِي الرَّأْسِ أَوْ حَوْلَهُ؟
- هل تُحِسَّنَ بِالْأَرْسَالِ إِذْ عَتَّازَ جَرَأْ مُرْتَفِعًا؟
- هل تَسْعَ بِسُهُولَةٍ؟
- هل تَقْضِي أَطْافِرَ بِيَدِكِ؟
- هل تَجِدُ صُعُوبَةً فِي اِعْتِدَادِ الْأَماْكِنِ الْجَدِيدَةِ؟
- هل أَنْتَ شَدِيدُ الْحَسَاسِيَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُوْسَوْعَاتِ مَعْيَيَّةٍ؟
- هل تُحِسَّنَ أَحِيَّانًا بِضَبَابِ بَرْدَحِ أَمَامِ عَيْنِيَكِ؟
- هل تَسْتَشَارُ إِلَى الصَّحْكِ فِي سَطَرِ وَصُعُوبَةِ؟
- هل تَخَافُ الْكَلَابَ؟
- هل تَخَافُ النُّورَ؟
- هل تَفْدَدُ السُّبْطَرَةَ عَلَى مَرَاحِكِ بِسُهُولَةٍ؟
- هل تَشْبَطُ هَمْتَكَ بِسِرِّ؟
- هل تَضْطَرِّبُ وَتَلْعَبُ بِيَدِكِ عَنْدَمَا تَخَوَّلُ أَنْ تَجْلِسَ هَادِئًا؟
- هل تَسْرَعُ فِي الْكَلَامِ، ثُمَّ تَنْدَمُ عَلَى تَسْرِعَكِ؟
- هل أَنْتَ عَدِيمُ الْمَلَالَةِ بِالْجَنْسِ الْآخَرِ؟
- هل تَسْبِحُ أَفْكَارَكِ حَيْثُ تَبْتَهُ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي بَيْنَ يَدِيَكِ؟
- هل يَنْقُلُ مَرَاجِكِ مِنَ الْفَرَحِ إِلَى الْحَزَنِ دُوْغًا سَبَبَ مَعْقُولٌ؟
- هل يَنْالُكَ التَّعبُ مِنْ عَمَلِكِ الْوَوِيِّ بِسُهُولَةٍ؟
- هل تَجِدُ مُشَفَّةً فِي نِيَانِ الْخَبَرَاتِ الْمُثَيَّةِ؟
- هل تَجِدُ مُشَفَّةً فِي الْوَمِ؟
- هل تَرْعَحُكَ الرُّوَايَحُ الْكَرْبَرَيَّةُ؟
- هل تَفْكِرُ فِي عَمَلِكِ إِلَى درَجَةِ الْمَمِّ؟
- هل يَبْدُو لَكَ أَحِيَّانًا أَنَّ النَّاسَ يَقْرَأُونَ أَفْكَارَكِ؟
- هل يَنْلُوكَ الْإِنْزَاعَجُ عَنْدَمَا تَفْكِرُ فِي الْمَوْتِ؟

٣ - الكسل والأشواق

الحق أن التقارير التي تثبت انتشار الكسل بين أطفال اليوم تبعث على كثير من الدهشة والعجب. لقد درس ب. ب. بلونسكي P.P. Blonsky في عام ١٩٢٩ طلاب اثنين وأربعين صفاً من مدارس موسكو فوجد أن واحداً من كل ثانية أطفال كسول، وهذا يعني أن أكثر من عشرة بالمئة من تلاميذ المدارس كسالى. ولقد أنكر معظم التلاميذ الكسالى، كما لا بد أن يكون القارئ قد قدر، أنهم كانوا كسالى. والحق أن ثمانين بالمئة من هؤلاء قد أنكروا أنهم متراخون مهملون، بالرغم من البراهين القوية التي أثبتت تراخيهم وإهمالهم.

وطلاب المدارس الذين درسهم الدكتور بلونسكي ثاروا ثورة أخرى غريبة، ثورة يمكن أن تكون السبب في كثير من النقاش العائلي، وأن تلقي نوراً على فتح الصناعة أبوابها على مصاريعها للكثير من النساء. لقد وجد أن ٤ بالمئة من

بين الطالبات جيئاً كنَّ كسالى بصورة لا تدع مجالاً للشك، ولكنَّ تسعه عشر، وثلاثة أتعشار، بالمائة من الطلاب وجدوا كسالى بصورة واضحة صريحة. فكَّر في هذا! إنَّ عدد الطلاب الكسالى يزيد على عدد الطالبات الكسالى مراتٍ أربع، أو بالأَحرى خمس مرات! فهل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟؟

حسناً، إننا إذا نظرنا في المشاكل البارزة التي تواجه ألفاً من الأفراد الكبار، نصفهم من النساء العاديات ونصفهم الآخر من الرجال العاديين، على أن لا يختارهم لا لعقربيتهم ولا لبلادتهم، وجدنا تأكيداً وتشبيتاً للحقيقة التي تقول بأنَّ عدد الرجال الذين فيهم ميلٌ إلى الكسل، والذين يصعب عليهم إلى درجة قصوى التغلب على هذا الميل، هو أكبر من عدد النساء. إنَّ الأرقام الصحيحة تظهر أنَّ أربعة عشر بالمائة من الرجال، وتسعة بالمائة من النساء، فيهم هذا النقص الإنساني في شكله الحاد.

وهكذا قد لا يكون «الجنس الأضعف» ضعيفاً بقدر ما يظنه الرجال.

إنَّ الملاحظات اليومية لتوكيد الاكتشافات العلمية فيما يتعلق بأي الجنسين أكثر كسلًا وإهلاً. إنَّ الكسل يسبب

انتشار السيارة وكثرة استعمالها، والسبب في هذا، بصرامة، هو أن كثيرين لا يسمح لهم كسلهم بأن يسيروا مشيّاً على الأقدام. وكل أسرة من أسرنا تدرك جيداً من هو الذي يفيد من السيارة بأكثر من سائر أفرادها جميعاً، لتفادي المضي.... والشاهد أن الزوج يتبع آلة كهربائية حافرة لصنوعه الصغير في البيت قبل أن يشتري آلة كهربائية لغسل الصحون في المطبخ. ولسنا نهدف من ذكر هذه الأشياء إلى أن نجعلها سبباً في النزاع العائلي، ولكننا نشير إليها كخبراتٍ عامة شائعة، يستطيع أي كان أن يذكر عشرات مثلها من ملاحظاته الخاصة، للتمثيل على هذه النقطة.

★ ★ ★

إن كون الإنسان تعباً يختلف تماماً عن الاختلاف عن كونه كسولاً ولو أن السهل الخلط بين التعب والكسل. والكسل الحق، هذا الكسل الذي نبحثه الآن، هو عقلي لا جسدي. إنه ينشأ عن الأفكار والانفعالات، لا عن العمل أو الحالة الجسدية غير الحسنة. إن كسل النساء الذي هو أقل من كسل الرجال، بالرغم من الطاقة المتوفرة لهن بأقل مما هي متوفرة لهم، يُظهر أن ما وراء الكسل هو عامل عقلي. إن الذين يهيمون على وجوهم في الأرض ليسوا أناساً

ضعاف الأبدان، بل هم، في العادة رجال أقوياء ذوو اتجاهات عقلية تجعلهم يتحاشون أيما جهد كان.

ولقد درس علماء النفس التحليليون في السنوات الأخيرة الماضية، فيينا وزوريخ، العوامل العقلية التي تجعل الناس كالي، كما درسها أيضاً علماء النفس الصناعيون في إنكلترا، وعلماء النفس المهنيون في أمريكا.

ويقول علماء النفس التحليليون إن أحالم اليقظة سبب رئيسي من أسباب الكسل. إن من الأسهل على الآلة العقلية أن تسلك هذا الطريق إلى الأحلام الكسلى، بدلاً من أن ترکز في مشكلة يعينها، وذلك بالرغم من أننا ندرك إدراكاً تاماً أن تفكيرنا في مشكلة ما، بطريقة إنشائية بانية، هو أسرع من تفكيرنا في «بناء قصور في إسبانيا»، هذا التفكير اللذيد العديم الفائدة والجذوى.

والحقيقة أن كل واحد منا يمر في طور من أحالم اليقظة الكثيفة من السن الثانية عشرة إلى السن العشرين، وأن بعضنا على ما يبدو، لا يتجاوزون مطلقاً هذه المرحلة الكسلى الحالية.

ولقد وُجد أن الذين يهيمون على وجوههم في الأرض نشيطون فعالون في أحالم اليقظة بصورة خاصة، وأنهم

كثيرين غيرهم من الكبار الكسالي، كالي لأنهم لا يزال لديهم خيالُ الشباب غير المضبوط وغير الموجه.

إنَّ الناس يحلمون في اليقظة لأنَّ ذلك يساعدهم على تذليل صعوبات الحياة عن طريق خيالهم. بيد أنَّ أحلام اليقظة لا تحلُّ أيًّا مشكلة، بل تزودنا باللذة العابرة الخادعة إثُرَ توهمنا بأنَّها قد حلَّت ولم يعد لها أثر. إننا فقط نحاول، بطريقة غير مجده، أن نرجو خلاصنا منها. والصدمات القاسية، وخيبات الأمل وما يشبهها من الخبرات العقلية الأخرى، كلُّ أولئك يجعلُ الحالين في اليقظة أناً سالِي. وهذا ما يجب أن يجعلنا نشفق على بعض الرجال والنساء الكسالي من معارفنا، ولكنه لا يفسِّر الحقيقة التي تقول بأنَّ عدد الكسالي من الرجال أكبر من عدد الكسالي من النساء ذلك بأنَّ العلماء النظريين والعمليين متذمرون على أنَّ النساء يواجهن مثل هذه الخيبات والصدمات بأكثر من الرجال.

★ ★ ★

إنَّ علماء النفس الصناعيين الانكليز، وعلماء النفس المهنيين الأمريكيين، يشرحون الأسباب العقلية في الكسل، وبخاصة في الرجال. فالآخرون يقولون إنَّ الآلية المملاة التي هي من النتائج الختامية للأعمال الصناعية التي لا تكاد

توقف أو تقطع تسبب بــَمَا عظيماً لا بد أن يؤدي، بطبيعة الحال، إلى حالة عقلية تساعد على الكسل، فينشأ أولاً السأم السريع من العمل اليومي، ثم عدم الشوق والرغبة والاهتمام، ويتبع ذلك التراخي والكسل.

إن كثيراً جداً من الرجال لا يجدون مناصاً من أن يعملوا أمّا عمل يتاح لهم لكي يؤمنوا لأنفسهم وعيالهم الخبر والدفء والثياب، بحيث أن هذا يكاد يكون أكبر العوامل والأسباب في الكسل. ولهذا السبب أحاول دائماً، عندما يسألني طلاب الكليات عن العمل الذي يجب أن يختاروه عند تخرّجهم، أن أجده العمل الذي يجدونه، كالمحاسب، استعداده العقلي، أكثر بعثاً للرغبة والشوق والاهتمام في نفوسهم.

ولقد وَجَدَ علماء النفس الصناعيون، أيضاً، أنَّ الرجل البليد أو المرأة البليدة - ذلك بأنَّ هناك بعض النساء ذوات المقدرة العامة الضعيفة - لا يتوقف ولا يضجر إلا في النادر من الأحوال، من عمله منها بدا أنه آلي يبعث على السأم. ولكنَّ الرجال والنساء الذين لا يتسمون بالبلادة يجب أن يؤدوا العمل نفسه أيضاً، وهذا ما يجعل مأساة أولئك الذين هم في الحق أذكياء والذين هم أكثر عرضة لأن يصبحوا كسالى، مشكلة خطيرة.

إنَّ السبب في عدم الشوق والرغبة، في بعض الحالات، يكون داخلياً، فليس هناك شيء في العالم يمكن أن يبدل من اتجاه الشخص نحو العمل الذي يعمله، منها أدخل على هذا العمل من تغيير وتحوير.

وفي حالات أخرى ليست يائسة إلى هذا الحد، ينشأ عدم الشوق والرغبة عن حقيقة كون الشخص المعين، يعمل عملاً لا يتفق مع رغبته وأشواقه الخاصة، بل يتمسك به كوسيلة للحصول على رزقه. إنَّ هذا ممكن اجتنابه من طريق العناية، بأن يعهد إلى كل رجل بعمل يتفق مع أشواقه ورغباته الأساسية.

وفي حالات أخرى- وهذه أيضاً تبعث على الأمل - يعود السبب في عدم الشوق والرغبة إلى أنواع من السياسة الخاطئة غير الموفقة، تتبعها الشركة نفسها.

مزايا صاحب الشخصية «الجيدة»

- أنه يتمتع بنصيب كبير من المشاركة الوجدانية، يعني أنه يقدر بسهولة مصاعب الآخرين ويفهمها.
- وائق من نفسه.
- مرح منمقائق دائمًا.
- نشيط دائم العمل.
- يتزوج اجتماعياً، بالأخرين، يعني يشترك في الوادي، ويعرف كثيراً من الناس.
- يقرأ كثيراً، ويدرس ليريد معلوماته وجودها.
- سريع الماظر، ويرد بسرعة على ملاحظات الآخرين.
- طلق اللسان: يستقي كلماهه ويستعملها بسهولة.
- نظيف النباب كثير العناية بها.
- يضحك من كل قلبه.
- يصفي بسهولة ويسر. يسأل أسئلة ويعي كلام محدثه.
- له عدة أصدقاء حميمين، وبفضل الصداقات العميقية.
- يتمسك برأه عندما يكون مصيباً، ويصم على أن يرعن على صحته.
- يتسم بسهولة ويسر، مرات عديدة، عندما يتحدث إلى الآخرين.
- سريع في إبداء ملاحظات الثناء على الآخرين إيمان وجودهم.
- يعني أن لا يخرج شور الآخرين، ويحرص على أن لا يعطفهم فكرة سيئة عن نفسه.
- يجمع النكات والقصص، ويضمنها حديثه غالباً.
- جدي في جميع أفعاله مع الآخرين وعلاقاته بهم.
- متحدث بطبعته، وبغير عن رأيه دائماً حتى ولو لم يطلب إليه ذلك.

٤ - المقدرة على مسيرة الناس

لماذا يحقق كثير جداً من الأشخاص الذين نعتقد أنهم وهبوا ذكاء وفطنة نادرتين، هذا الإخفاق الذريع في حياتهم اليومية؟ ولماذا، أيضاً، ينجح كثير جداً من الناس الذين نعتقد أن حالتهم العقلية أفضل بقليل من البلهاء ، في هذه الحياة نفسها ، ولماذا يحبهم الناس إلى درجة يتوصلون معها إلى أعلى المراتب في التجارة أو الخدمة العامة؟.

ليس من شك أن هنا شيئاً عجباً حيرنا جميعاً. إننا نرى ، وليست هذه حالات نادرة ، الشاب المثقف ثقافة جيدة يرتدي ثياباً رثة ، ويشغل وظيفة متواضعة ، أو يعمل عملاً لا يتاسب وثقافته هذه ، ونرى ، إلى جانب ذلك ، رجلاً فارغ الرأس ، لا يستطيع أن يتحدث عن شيء أهم من سباق الخيل ، ويتسم كلامه بطابع المجنون والساخرية أبداً ، استطاع أن يؤمن لنفسه ثياباً أنيقة فاخرة يرتديها ، وبيوتاً يسكنها ويستفيد من ريعها ، ومكاتب فخمة ، وأصدقاء

عديدين. ومنذ عهد ليس ببعيد ذكرت الصحف أن رجلاً يدعى هارفارد Harvard ، كان في الكلية من أكثر التلاميذ نباهة وذكاء ، وكان عمره عندما تخرج منها في مثل عمر الطالب العادي عندما يدخلها ، لم يزد أجراه بعد أن مضى على التحاقه بشركة من شركات التأمين إثنا عشر عاماً على خمسة عشر دولاراً في الأسبوع ، ولم يُرقَّ إلى أكثر من كاتب بسيط فيها . ومن جهة أخرى ، فإن كل واحد منا يعرف أن كثيراً من كانوا مثال الكسل والضعف في صفوفهم أصبحوا فيما بعد مدراء كباراً في شركات كبيرة .

والعجب أن الحل الذي أهتدي إليه مؤخراً عن طريق الأبحاث السيكولوجية التي قام بها أمثال الدكتور فرد موس Fred Moss من جامعة جورج واشنطن ، والبروفسور هاري هبنر Harry Hepner من سيراكيوس Syracuse ، هو في غاية البساطة ، كغيره من سائر الحلول .

وهذا الحل هو هذا: أن الذكاء في الناس هو ، على الأقل ، على نوعين متميزين: «اجتماعي» و «مجرد». إنها ، إلى حد كبير أو صغير ، متنافيان ، ويختلفان ، في العمل ، كما يختلف الزيت والماء تماماً. والذي يبدو ، فيما يتعلق بالنجاح في الحياة أن الذكاء الاجتماعي مهمٌ وخطير. ومع أن الذكاء الاجتماعي لم يستطع أبداً أن يؤمن لامرأة شهرة كشهرة

آينشتاين Einstein ، فإنه يستطيع ، بسهولة ويسر كبيرين ، إذا
كنت تملك منه قدرًا عظيمًا ، أن يجعل منك رئيساً للولايات
المتحدة الأمريكية .

★ ★ ★

يقول الدكتور موس: «إن درساً دقيقاً للصفات التي
يتمتع بها من نسميه رجلاً ناجحاً ، يُظهر ، في تسعة حالات من
عشر ، أن نجاحه لا يقوم على معرفته العميقه التي تغير عقول
الرجال العاديين ، بل يقوم على صفات بسيطة شائعة تلذّ
لفهم العامة ، وتشير في قلوبهم شعور المشاركة الوجدانية . إن
الذكاء الاجتماعي ، للضرورات والأغراض العملية ، أجدى
وأعظم نفعاً من الذكاء المجرد ، ذلك بأن صاحب هذا الأخير
يعرف ماذا يجب أن يفعل ، ولكن صاحب الذكاء الاجتماعي
يعرف كيف يفعله . »

لننظر إلى كلا النموذجين وها في حالة العمل ،
ولنفترض أن هناك قضية تدعوا لها وتدافع عنها وتحاول أن
تكتب لها المؤيدين والأنصار ، فتذهب إلى رجل ذكاؤه من
النموذج الاجتماعي تدلي أمامه بمحججك وبراهينك . إن
الأمور التي تؤثر فيه عندما يصغي إليك هي هذه: مظهرك
الذي يدلّ على أي نوع من الأشخاص أنت ، وتعابير وجهك

التي تدل على حالاتك العقلية، وطريقتك في الحديث التي تنم عن مشاعرك وانفعالاتك، وإخلاصك، وصدقك، واستعدادك نحوه، وثيابك التي تدل على حالتك المالية.

ثم تذهب بعده لعرض قضيتك على رجل ذكاؤه من النموذج المجرد. إنه يصغي أيضاً، ولكنه، بخلاف الرجل الأول، نادراً ما يعني بك أنت. إنه، على العكس، يفكر فقط في الذي تقول، وفي اقتراحك ووجهه المالية أو القانونية أو الأدبية أو الاجتماعية، حسبما يكون نوع قضيتك.

ثم ماذا يحدث بعد ذلك؟ أما في ما يتعلق بالرجل الأول الذي يتسم بالذكاء الاجتماعي الفذ، فيكون القرار متوقفاً عليك أنت. فإذا أحبك، مال إلى أن يتعمق في الموضوع إلى درجة أكبر، ويفعل ذلك مفيدةً من درسه إليك، ليكسب تأييدك وصداقتك وثقتك، كما فزت بتأييده وصداقه وثقته تماماً.

ومن ناحية أخرى، فإن الرجل الثاني الذي يتسم بالذكاء المجرد الفذ يبقى بارداً غير مبال بك أو بصداقتك كما كان عند بدء المقابلة تماماً. إنه يتخذ قراره لمصلحة قضيتك أو ضدك على أساس من الحقائق المجردة.

والمرجح، إلى أبعد الحدود، أنك تكون، عندما تخرج من مكتب الرجل الأول، راغباً في أن تفيده وأن تراه كرة أخرى، في حين أنك لا ترغب، عندما تخرج من مكتب الثاني، إلا في أن تفوز بتأييده أو أن تحصل على ماله. فمنها تظن أنه يملك الفرصة الفضلى للعمل معك وتأييده؟

أو لنفرض أنَّ الرجل الذي يتسم بالذكاء الاجتماعي القوي يأتي إليك طالباً وظيفة أو عملاً أو ترقية، أو سلفة، وأنَّ رجلاً يأتيك من بعده يتسم بذكاء مجرَّد قوي يطلب هذه الأمور عينها. ألا تستطيع أن تخمن ما يمكن أن يحدث؟ إنَّ الرجل الأول يكسب صداقتك، ويدرسك، وهكذا يستطيع أن يدرك الطريقة التي بها يتمكن من اكتساب عطفك وتأييده لصالحه الخاصة، في حين أنَّ الثاني يعرض قضيته ويويدها بالحجج التي لديه، فلا تكاد تفكر فيه بعد أن يتركك. فهل من العجيب، بعد كل هذا، أن يكون الذكاء الاجتماعي عاملًا قوياً فعالاً في الفوز بذلك الشيء الذي ندعوه النجاح؟

★ ★ ★

لقد وزن الدكتور موس، عن طريق اختبار وضعه للذكاء الاجتماعي، ذكاء مئات من الأشخاص، ولقد وجد

إلى جانب أمور أخرى، أن مدراء الشركات وأعضاء هيئاتها التنفيذية، كمجموع، يتمتعون بقدر من الذكاء الاجتماعي أكبر من القدر الذي يتمتع به من يقوم بهمها البيع فيها، وأن ذكاء البائعين الاجتماعي أكبر من ذكاء الختزلين، وذكاء الختزلين أكبر من ذكاء عمال المصنع وذكاء النساء أكبر قليلاً من ذكاء الرجال، وذكاء المدخنين أكبر من ذكاء الذين لا يدخنون.

هل يمكن أن يُكتسب الذكاء الاجتماعي؟ نعم إلى درجة معينة. بيد أن لدينا براهين قوية على أن الفرد لا يستطيع أن ينمي في نفسه حبَّ الناس حباً حقيقياً بأكثر مما يستطيع أن ينمي فيها حبَّ علوم الرياضيات حباً حقيقياً. وإنَّ، فإنَّ أسلم الطرق التي يجدر بالفرد أن يتبعها هي أن يقرر أي نموذج من نموذجي الذكاء يملُك، أو أي نموذج من نموذجي الذكاء يملُك ابنته أو ابنته، قبل أن يختار مهنته في الحياة. بهذه الطريقة، مثلاً، يمكن للمرء أن يتحاشى أن يكون عاملًا اجتماعياً إذا كان رياضياً بالفطرة، أو أن يكون عالماً بحاثة إذا كان إنجيلياً مبشرًا بالفطرة.

وإليك الآن بعض الفئات ودرجات الذكاء الاجتماعي التي تحتاج كل فئة إليها:

١ - الفئات التي تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء الاجتماعي:

- المدراء العامون.
- المراقبون المتأزون.
- السعاة الذين ينقلون المراسلات.
- مدراء المكاتب.
- السياسيون.
- رؤساء الجمهوريات.
- البائعون.
- رؤساء المصانع.
- مدراء حركة المرور.
- مراقبو الرفاهية العامة.
- العمال الاجتماعيون.

٢ - الفئات التي تحتاج إلى قدر متوسط من الذكاء الاجتماعي:

- المحاسبون.
- رؤساء الكتاب.
- مدراء التوظيف.
- ملاحظو الأعمال.
- المصوروون.
- المرضات.

٣- الفئات التي تحتاج إلى قدر ضئيل من الذكاء الاجتماعي:

سائقو السيارات أو عربات النقل.

الكيميائيون.

الاختصاصيون بالكهرباء.

العمال.

الميكانيكيون.

موظفو المكاتب التجارية.

الطابعون.

عمال المختبرات أو الأبحاث.

المختزلون.

الفنيون.

إنني من يعتقدون أن بالإمكان تنمية الشخصية الجيدة الفذة. والذي يبدو لي أن هذا هو الوقت الذي يجب أن يبدأ فيه كل فرد هذه التنمية. كيف؟

أجلس لنفسك وانظر إلى الماضي. أو أطلب إلى صديق من أصدقائك أن يبدي لك رأيه الصريح في عملك وسلوكك في الشركة أو المعمل الذي تعمل فيه.

لقد بينا بعض صفات الشخصية في إطار ملحق بالفصل السابق، خذ هذا الثابت. وتأمله ملياً، ثم احكم على نفسك

بإخلاص وتجرد. وبعد أن تفعل هذا، أطلب إلى صديقين أو ثلاثة من أصدقائك أن يقرأوا هذه الصفات، وأن يحكموا عليك، بإخلاص وتجرد، دون أن تطلعهم على ثباتك ودون أن يطلع أحدهم على حكم الآخر. إن مقابلة هذه الأحكام الشخصية الصريحة بعضها ببعض ستعطيك صورة واضحة عن نفسك، كما أعطت كثيرين غيرك هذه الصورة الواضحة من قبلك.

إن الفائدة الكبرى من هذا الصنيع تقوم فيما يتم للمرء من قدرة على تحليل نفسه هو، فعندما يفكر من يخلل نفسه في صفة لها علاقة به، يتعين عليه أن يأخذ بعين الاعتبار حالات أظهر فيها تلك الصفة، وحالات أخرى لم يظهرها فيها. فمثل هذا النوع من التفكير ينطوي على اعتراف حقيقي مثمر.

هل كان ما فعله، في حالة معينة، يدل على إخلاص وفهم واتزان، أم لم يكن كذلك؟ إنه ليجدر في أعماق نفسه، عندما يعود بها إلى تلك الذكريات، الحقيقة كل الحقيقة، وباستطاعة أصدقائه أيضاً أن يساعدوه عن طريق التثبت المذكور. وعندما تم له هذه الاكتشافات عن نفسه واضحة جلية، يستطيع أن يرسم لنفسه طريقةً أفضل وأصح،

ويستطيع أن يجني حياة أكثر متعة وجمالاً ونجاحاً عندما يبسم
له الزمان - ولسوف يرى صدق كلامي إذا فعل.

★ ★ ★

لننظر الآن في بعض النواحي الإيجابية من إيماء المقدرة
على مسايرة الناس.

هل توقفت مرة واحدة لتفكير في السبب الذي يحملك
على كره بعض الناس؟ أو في السبب الذي يجعلهم هم
يكرهونك ولا يميلون إليك؟ إن هذا السؤال الخطير، والذي
لا يلقى إلا أقل اعتبار وتفكير، طرح على طلاب المختبر
النفسي في جامعة كولجيت Colgate. وإن إدراكهم أن بينهم
من كانوا مرموقين ولكن غير محبوبين، وأخرين يحبهم
الجميع، وقليلين مكرهين كرهًا شديداً، قد كشف، في
اعتقادي، عن معلومات كبيرة الفائدة لنا جميعاً، سواء في
ذلك التلاميذ والأساتذة، التجار وأصحاب الحرف،
الرؤساء والرؤوسون.

ولقد تقررت إحدى النقاط ذات المغزى الكبير منذ
البدء. ذلك أنه طلب إلى المئة والثلاثين رجلاً الذين
اشتركوا في التجارب أن يبدأوا، عند إشارة معينة،
وبأقصى ما يستطيعون من السرعة بكتابة الأحرف الأولى

من أسماء جميع الأشخاص الذين يكرهونهم بصورة خاصة. وبعد انقضاء نصف دقيقة، أعطيت لهم الإشارة فجأة، بالتوقف عن الكتابة. وكانت النتيجة أن كثريين منهم لم يستطيعوا أن يفكروا في أكثر من شخص واحد لا يحبونه، وأن آخرين استنفذوا هذا الوقت كله وهم يكتبون بسرعة فائقة عظيمة. ومع ذلك لم يستطيعوا أن يسجلوا أسماء جميع من يكرهون. لقد سجل بعض هؤلاء أربعة عشر اسمًا. وبعد ذلك تبين - وهنا النقطة الحيوية المهمة - أن أولئك الذين سجلوا أقل عدد من الأسماء كانوا هم أنفسهم أقل المشترين في التجارب حظاً من الشعبية.

وكذلك فقد أجبرنا على الاعتقاد بأن السبب في مجبة الناس وكرههم لأناس آخرين إنما يعود كله، تقريرياً، إلى أفعال هؤلاء الناس الآخرين: أفعالهم التي تميل إلى أن تؤثر في كبرياتنا وأرائنا في أنفسنا، ثم أفعالهم التي تقلقنا، وتزعجنا، وتحزننا.

ولكن هذه التعميمات لم تعين السبب الذي من أجله يكره الناس. ومرة أخرى طلب إلى التلاميذ أن يكتب كل منهم قطعة يصور فيها شخصاً ما ينظر إليه بكرابهية واشمئاز، وأن يؤكد في ما يكتب الصفات التي يكرهها في خلق ذلك الفرد، وشخصيته، وسلوكه.

ولقد وجدنا ، بعد أن أهملنا تلك الصفات غير الطبيعية ، والتي لا يمكن أن يكون لها أية أهمية عامة في مشكلة الحب والكره هذه كاللكتة مثلاً ، أن إحدى وتسعين صفة ، من النموذج الذي يمكن أن يعتبر عاماً ، تكررت مراراً في كتابات الطلاب .

وقد كانت هذه الصفات على أنواع ثلاثة ، حسب أهميتها . أما الصفات العشر الأكثر أهمية فقد نشرناها في إطار خاص ملحق بهذا الفصل ، ولسنا في حاجة إلى أن نقول أن الجواب على كل منها يجب أن يكون بالإيجاب .

إن ثلث الناس ، على وجه التقرير ، يولدون عنيدين ، ويحيون عنيدين ، ويتوتون عنيدين - عنيدين إلى درجة تسيطر فيها إرادتنا التي لا تترزع ، منها كانت ظروف الحال ، على أفعالنا وتوجهها .

ومن الخطير والطريف في وقت واحد أننا نجد هؤلاء المصابين بداء العناد الحق نادراً ما يدركون أنهم مصابون به ، وأنهم إذا ما أدركوا ذلك ، لا يكادون يقررون به أبداً . على العكس ، أنهم يميلون إلى أن يلحوا على أنهم « كذلك » لأنهم وهبوا ذكاءً خارقاً ، لأنهم يملكون خبرة واسعة ، أو لأنهم حقيقةً أهل لآن يقرروا ما يجب عمله أكثر من الشخص الآخر .

ومع ذلك فإن من الطريق أيضاً أن نعلم أن عناد الناس لا علاقة له أبداً بالمقدرة العامة. بكلمة أخرى، أن العالم الكبير، ورجل الدولة العظيم، أو رجل الأعمال القدير، قد يكون أيضاً عنيداً كسائق عربة النقل الجاهل، وأن أيها شخص، منها كان نموذجه، أو عقله، أو قوته، أو مركزه، قد يكون إنساناً جديلاً ومزعجاً للآخرين كأي شخص آخر إذا كان مصاباً بداء العناد إلى درجة يعد فيها نقصاً. والحق أن العناد يبدو في أشكال مختلفة، ولكنها جميعاً تدل على أن العنيد، في كل حالة في الحالات، إنما يتوقف عن محاولة حل المشكلة، منها كانت.

لا أعتقد أن هناك من لم يلقَ عنيداً إلى درجة غير معقولة: إنَّ من هؤلاء الوالد المزعج الذي يلح على أولاده في عمل أشياء لا ضرورة لها، لا شيء إلا لأنَّه أمرهم بذلك، والأزواج والزوجات الذين لا يعترفون بأخطائهم ولا يغيرون من أفكارهم وأرائهم حتى ولو تعرضت حياتهم الزوجية من جراء ذلك إلى أكبر الخطر.

بيد أنَّ هذا العناد شيء حسن، ويفيد في حالات معينة، كالعناد في مباراة كرة القدم، أو الكفاح الطويل من أجل الشهرة، ولكنه لكي يكون مفيداً وفعلاً، يجب أن يستعمل بذكاء وفطنة. إنه كالغاز في المطبخ، يجب أن لا

يفتح أنبوبه إذا لم يكن في اليد عود من الثقب.

فما الذي يستطيع فعله بتصده؟ حسناً أن كلاماً منا يستطيع أن يفحص اتجاهه وميله العقلي الخاص. فإذا فعلنا ذلك بإخلاص وتجدد، ووجدنا أننا ننتهي إلى فئة المصابين بالعناد، استطعنا أن نحترز منه. قد تكون هذه هي الوسيلة التي يمكن للمرء بواسطتها أن ينقلب من شخص منّاع صعب، بصورة باطنية، إلى شخص معقول تعاويني، ينظر إلى غده بثقة وأمل، إلى شخص يحتاج العالم في هذه الأيام إلى الكثيرين من أمثاله.

★ ★ ★

وهناك ضرب آخر من الطبيعة البشرية، له اتصال كبير بما قدمنا آنفاً. إنه نوع ليس من الصعب مسايرته فحسب، بل يوهن العلاقات الاقتصادية والعائلية. لنتنظر أولاً في النوع الذي يهدد العلاقات العائلية. إنه يدعى أحياناً «حب التأمر والسيادة». فالاعتراض الدائم والنقد المضايق ضرب من الاغتياب يلقي على مسمع الشخص المقصود بالتعريض. وهذا ما يجعله أخف وطأة بقليل من الاغتياب بالمعنى الاصلاحي. ومع ذلك فما أشد إزعاجه! وكما يحفر الثرثرون قبورهم يترثث به. كذلك يحفر الثقاد المضيقون

قبورهم بهدمهم صداقتهم، وبنفور الآخرين منهم بدلًا من تعاونهم معهم.

يعود السبب في النقد الهادم، أحياناً، إلى الحسد. والحسد، غير شك، نوع من أنواع عدم الرضا بهذه الحياة. كم من حادثة من حوادث الطلاق، وكم من العلاقات الزوجية التي لا تطاق ولا تحتمل، مردها إلى الرغبة في النقد وحب الاعتراض. إن هذا ما لا يستطيع أن يحزم به أي إنسان، ولكن الواضح أن النسبة المئوية في هذه الحالات مرتفعة جداً، وقد لا يسبب النقد الدائم الطلاق، ولكنه، كما حصل لشكسبير، يؤدي بالزوج إلى أن يضي أوقاتاً طويلة بعيداً عن منزله. لقد كان الوقت الذي قضاه شكسبير بعيداً عن «آن هاتاواي» أطول بكثير من الوقت الذي قضاه معها، وقد كانت الزوجة، في هذه الحالة، هي التي شفت بالاعتراض والانتقاد. كما أن الزوج في حالات كثيرة هو الذي يفعل الشيء عينه.

والانتقام، أحياناً، دافع لا شعوري للاعتراض والانتقاد. والدكتور جون مورغان Morgan العالم بنفسيه الأطفال يقول موجزاً: «إنك تستطيع أن تعرف عن الطفل ما ي قوله عن الآخرين بأكثر مما تعرف عنه مما يقولونه هم عنه». ويقول كذلك إن من أهم النزعات التي يجب أن

يتجنبها المرء إذا ما أراد أن يحظى بعقل سليم هذه الرغبة الملحة إلى لوم الآخرين.

والأنانية عنصر مهم آخر من عناصر اللوم والانتقاد. إنها توحى بأن المعرض يفتقر إلى الاستقرار العقلي، أو أنه قد يكون مريضاً نفسياً، فالمرحوم الدكتور «بوريس سيديس» Boris Sidis قد أعلن، بعد سنوات عديدة من دراسة عدة أشخاص مرضى عقلياً، أن عرضاً من أقوى أعراضهم إنما كان الأنانية المتطرفة.

إن كثيراً من الأشخاص الذين يولعون بالنقد لا يدركون أنهم مولعون به. إنهم يحبون أن يعتقدوا أنهم متشددون في كل ما يختص بالنظام وحسن السلوك!

ما هو الدواء الشافي لكل هذا؟ إننا نستطيع أن نقطع شوطاً بعيداً إذا فكرنا، في نهاية النهار، أو بعد انقضاء عدة أيام، في الأفعال التي صدرت عنا، وملحوظاتنا التي أبديناها لرفاقنا وأصدقائنا وأفراد عائلتنا. كم ملاحظة من هذه كانت ملخصة، مجردة، متزنة ومفيدة؟ وكم ملاحظة منها كانت قاسية. مرة، محرجة ولم يقصد بها إلا الانتقاد والتنديد؟ وكم من هذه الملاحظات الأخيرة، كان بناء على الحكم المخلص على الشخص الآخر، وكم منها كان ناشئاً عن

أسباب داخلية فينا لا صلة لها بالحالة المعنية، فيما يتعلق بالشخص الآخر؟

إن نظرة كهذه، ويمكنك أن تدونها إذا شئت، تظهر لك كثيراً من الأشياء عن نفسك. وقد تعجب عندما تجد أنك من هذه الفئة المولعة بالنقد، أو أنك قد أصبحت كذلك حديثاً، وقد تصل إلى أن تعرف السبب في ذلك بمساعدة المقتراحات في هذه القصة اختصاراً. إن معرفة السبب هي، في الحق، كل المعركة، على شرط أن تدرك أن كونك منصفاً للآخرين ولطيفاً بهم يجلب لنفسك السعادة الحقيقية، وعلى شرط أنك أيضاً ترغب في السعادة رغبة مخلصة.

والرغبة في الانتقاد وحب التأمر والسيادة يشبه أحدهما الآخر شبهأً قريباً. والحق أن «دمّل التأمر» المنتشر موضوع طريف إلى أبعد حدود الطرافه، مضى على العلماء أعواام عديدة وهم يحاولون أن يفتقاوه وأن يدرسوه درساً دقيقاً. وعندما نقر بأن نفراً قليلاً جداً منا يولدون وفيهم نزعة إلى التأمر والتحكم يحسن بنا أن نلاحظ بصورة أدق كيف يستولي الدمل على بعضنا ليصبحوا كذلك بعد أن يكروا.

وإيجازاً لما تقدم نقول أن الشخص الذي لم يحظ بالرضا

والاقتناع أو الذي أخفق في بلوغ أي هدف وضعه نصب عينيه أو فقد ثروته أو خسر تجارتة أو عمله، خليق بأن يصبح مرتعاً خصباً لهذا الداء. إنه يسعى إليه، ولكنه إذا كان سليم العقل، مجدأً نشيطاً بالفطرة قادرًا على أن يعدل نفسه بسهولة ويسر بحيث يتلاءم مع الحالات الجديدة الطارئة ليبدأ مجدداً من المكان الذي هو فيه، عافه هذا الدمل ولا عجب وأعرض عنه، وهذا، غير شك، شيء عظيم.

والذي يبدو أن حشرة التأمر والتسود تحب ذوي الرؤوس المتتفحة، وتحبها إلى درجة قصوى! ولسبب عجيب حقاً، نراها تفضل النساء على الرجال، كما قال هاري هابنر Harry Hepner، أستاذ علم النفس في جامعة سيراكيوس Syracuse ، الذي وجد بعد أن أجرى تجارب على ألف من الناس، أن سبعة بالمائة من الرجال، وسبعة عشر بالمائة من النساء، قد اعترفوا بأنهم ضحايا حشرة التأمر واعترفوا كذلك، بصورة خاصة، بأن أسوأ صفاتهم أو أكثرها إزعاجاً إنما كانت عادتهم، التي ليس لهم إلى السيطرة عليها سبيل، في كونهم دكتاتورين.

★ ★ ★

إنّ من القسوة أن لا يرقى الإنسان في نقهـة حب التأـمر النـاشـيء عند رـجـلـ كانـ منـ قـبـلـ مـجـداـ نـشـيـطاـ عـاقـلاـ، وـلمـ يـسـطـعـ أـنـ يـجـدـ عـمـلاـ ثـانـياـ لـهـ طـيـلةـ أـعـوـامـ ثـلـاثـةـ، أـوـ عندـ رـجـلـ أـعـمـالـ يـبـدـأـ بـأـنـ يـشـعـرـ، مـنـ جـرـاءـ الضـرـائـبـ وـتـدـنـيـ الـأـسـعـارـ وـإـضـرـابـاتـ الـعـمـالـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـمـتـاعـبـ وـالـصـعـوبـاتـ، بـأـنـهـ مـقـيـدـ بـقـيـودـ غـلـيـظـةـ ضـدـ إـرـادـتـهـ. إـنـ مـثـلـ هـذـاـ النـقـدـ غـيرـ إـنـسـانـيـ أـبـداـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـالـحـقـيقـةـ هـيـ أـنـ حـبـ التـأـمـرـ، دـوـنـاـ استـثـنـاءـ، يـكـادـ يـكـوـنـ أـسـوـاـ الـطـرـقـ. بـعـدـ الـعـنـفـ، الـتـيـ يـمـكـنـ بـهـ أـنـ تـجـعـلـ الـآـخـرـينـ يـنـجـزـوـنـ الـأـعـمـالـ، أـوـ يـبـدـلـوـنـهـاـ، أـوـ يـقـبـلـوـنـهـاـ.

فـإـذـاـ كـنـتـ تـمـيلـ إـلـىـ الـرـيـبـ فـيـ هـذـاـ فـأـقـرـأـ مـاـ تـوـصـلـتـ إـلـيـهـ العـالـمـةـ النـفـسـانـيـةـ إـثـيـلـ رـيـدـلـ Ethel Riddleـ الـتـيـ درـسـتـ هـذـاـ الـدـاءـ بـجـامـعـةـ كـوـلـومـبـياـ، فـيـ أـشـخـاصـ بـعـضـ مـنـ لـاعـيـ الـبـوـكـرـ النـمـوذـجـيـنـ فـقـدـ اـكـتـشـفـتـ جـمـعـاـ مـؤـلـفـاـ مـنـ خـمـسـةـ تـلـامـيـذـ مـضـىـ عـلـيـهـمـ فـيـ لـعـبـ الـبـوـكـرـ فـيـ الـجـامـعـةـ مـاـ يـقـرـبـ مـنـ الـعـامـيـنـ. لـقـدـ اـتـفـقـوـاـ عـلـىـ أـنـ يـلـعـبـوـاـ الـبـوـكـرـ مـنـ أـجـلـ الـعـرـفـةـ وـمـنـ أـجـلـ الـلـذـةـ مـعـاـ. وـعـكـسـتـ الـمـرـأـةـ الـعـالـمـةـ مـنـ أـنـ تـقـيـسـ تـنـفـسـهـمـ، وـضـرـابـاتـ قـلـوبـهـمـ.

وـالـشـيـءـ الـعـجـيبـ الـذـيـ أـدـىـ إـلـيـهـ هـذـاـ الـبـحـثـ الـفـرـيـدـ هـوـ أـنـ عـلـيـكـ، إـذـاـ أـرـدـتـ أـنـ تـفـوزـ عـلـىـ رـفـاقـكـ فـيـ لـعـبـ الـبـوـكـرـ،

أن لا تكون متآمراً، وأن لا تحاول أن تجلّي في اللعبة. فإذا فعلت، كنت خليقاً، كما اكتشفت العالمة النفسانية المذكورة، بأن تثير نسمة الآخرين، وأن تجعل نيران أخصامك تتركز فيك بدلاً من غيرك. إنك تجعلهم يحسون بقدر من الرضا والارتياح إذا هم فازوا عليك، يكون أكبر جداً من ذلك الذي يحسونه إذا فازوا على أحد غيرك.

وتقول الدكتور ريدل إن لاعبي البوكر يتوقعون إلى أن يهزموا، بصورة خاصة، زميلهم ذا الروح العدائية، بأكثر ما يتوقعون إلى أن يهزموا غيره من ذوي الروح المسالمة...

★ ★ ★

وفي حيثاً تجد أنساً من العسير عليهم مسايرة غيرهم، تجد دائماً أن السبب الأكبر في ذلك إنما يعود إلى أن أحدهم قد عضته حشرة التأمر والسيادة عضة مؤلمة، سواء كان زعيماً عالمياً أو قطباً صناعياً.

وعندما يضرب تلميذ المدرسة أو الكليات، أو يتقدم الأزواج إلى المحاكم يطلبون الطلاق، أو تختدم معركة النقاش في مجلس البلدة حول لا شيء - عندئذ فتش عن أولئك الذين عضتهم هذه الحشرة عضة أو عضتين.

وستكتشف ، عادة ، الأشخاص الذين هم بحق المسؤولون عن المشكلة القائمة .

إذن ، إذن ، حشرة السيادة والتأمر . فإذا عضتك ، يعني إذا لحظت من الآخرين أنها قد عضتك ، فاجلس وحلل نفسك لترى إلى أي حد تغلغلت هذه النزعة فيها ، ولتعرف ما إذا كنت مزعجاً ، عقلياً ، يعني مناقشاً ذات صوت عال ، أو مصدرأً للأوامر دوغاً هوادة أو لين ، أو أي نوع آخر من أنواع «التسوّد» . وليس عليك بعدئذ إلا أن تصمم على أن لا تخطئ مرة أخرى . فإذا فعلت هذا كنت جديراً بأن تزبح من طريقك عقبات كثيرة ، وأن تجعل طريقتك في الحياة أسهل وأيسر ، وأكثر فائدة في النهاية ، وستجد نفسك أكثر سعادة وشعبية إلى حد كبير .

الفهرس

علم النفس يدلك على الطريق

	كلمة
٧	مقدمة المؤلف
٩	علم النفس الحديث والقديم
١٣	إلى أي حد أنت حي
١٩	أحساسك كيف توجهها
٢٩	سيكولوجيا الإرادة هل تستطيع أن تصمم النية؟
٣٨	العقل الباطن هل أنت عازم على أن تنمو وتكبر
٤٧	النفس الكبيرة أقدر من كنوز العقل الباطن
٥٥	كيف تستفيد من علم النفس
٦٩	السن العقلية
٨٣	الشوق مساعد للعقل
٨٩	إمارات الكبت الانفعالي
٩٠	الكسل والأشواق
٩٧	مزايا صاحب الشخصية الجيدة
٩٨	المقدرة على مسيرة الناس

الموسوعة النفسية

تعرض المساكل المقصبة بصرًا حه ووضوح ومحاؤن
تصبع لها الحلول سهولة وسر لسع نلساب حوص معرڪ
الخناة بعم ومضاء وتياب.

- البرفرا • حدار من المم
- ثروة للتوريح • سعاد الحياة
- كيف تسام • تغير الأحلام
- مفتاح الحظ • سحر الشخصية
- فن القراءة والدرس • الذاكرة
- سعادتك يدرك • طريق النجاح
- سغلب على الخوف • الإيحاء الثاني
- قرقر الأعصاب • حرب على التعب
- تغلب على الشلل • سلطان الإرادة
- كيف تكتب المال • تغلب على القلق
- تغلب على المحن • سيد على نفسه
- كيف تخل من مثلك ذلك الشعور بالتنفس
- فن التوريح عن النس • فن حاملة الناس
- مفتاح الشغصبات • شخصية كيف تغير
- سهل التنفس بذلك على الطريق • كيف تتمدد على النفس